


قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((واني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي كأني وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقها ومنعت إرثها وكسر ضلعها وأسقط جنينها وهي تنادي: يا محمدا، فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث)).













الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩:١٢١١



هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org



# كلمة العدد

**مقدمة الطفوف**

مليئة هي الطبيعة بالسنن الإلهية، ومليئة هي الحياة بالدروس والعبر كما ملئت بالأحزان والأفراح ولعلهما أي الأحزان والأفراح مما تفرد به هذا الكائن، الإنسان الذي امتزج تكوينه بهما.

الا أن أحزان الإنسان وأفراحه كانت تبعاً لمقدمات عديدة، منها ما عمل على إيجادها بنفسه فتكون مصحوبة بالندم والحسرة، ومنها ما أوجدها غيره فتكون مصحوبة بالأسى واللوعة.

وهل المتأمل في تاريخ المسلمين لا يغفل عن حقيقة الطفوف كنتيجة اسلفتها مجموعة من المقدمات كان من أعظمها أثراً مأساة باب فاطمة عليها السلام فضلاً عن وصف النبي الأعظم بـ(الهجر) كما ينص البخاري[1]، وجحد بيعة الغدير ببيعة السقيفة.

وغير هذا وذاك مما يطول المقام عنده والأسى في مجرياته واللوعة في نتائجه حينما يقف المسلم عند أرض الطفوف ليرى نار السلف التي أضرمت بها باب فاطمة هي نفسها نار الخلف التي أضرمت خيام أبناء فاطمة.

وجنيناً هناك، ورضيعاً هنا.. وصارخة هناك ومعولة هنا..

صور متعددة.. ومشاهد متكررة جرت فيها سنة الله في عباده المرسلين.

«وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ»[2].

ع/ المشرف العام

السيد نبيل الحسني

---

(١) صحيح البخاري، باب: مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ج٥، ص١٣٨، صحيح مسلم: كتاب النذر/ باب الأمر بقضاء النذر: ج٥، ص٧٦.

(٢) سورة الأنعام: ٣٤.





# الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء

## الحلقة الأخيرة

أعزائي القراء سنتناول في هذه الحلقة المنازل الأخيرة التي نزل بها الإمام الحسين عليه السلام مع عياله وما صاحبه فيها من أحداث حتى وصوله إلى أرض كربلاء.

قيل: عن عبيد الله بن الحر أنه سأل الحسين بن علي عليهما السلام: أعهد إليك رسول الله صلى الله عليه وآله في مسيرك هذا شيئاً فقال عليه السلام:

«لا».

وقال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، أنّ الحسين عليه السلام (لمّا رأى الفسطاط) قال:

«لِمَنْ هذا»؟

فقيل لعبيد الله بن الحرّ الجعفي، قال عليه السلام:

«أُدْعُوهُ إلَيَّ».

فلمّا أتاه الرّسول، قال له: هذا الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام يدعوك، فقال عبيد الله: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله ماخرجت من الكوفة إلاّ كراهية أن يدخلها الحسين عليه السلام وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني.

فأتاه الرّسول فأخبره، فقام الحسين عليه السلام فجاء حتّى دخل عليه وسلّم وجلس، ثمّ دعاه إلى الخروج معه، فأعاد عليه عبيد الله بن الحرّ تلك المقالة واستقاله ممّا دعاه إليه.

فقال له الحسين عليه السلام:

«فَإلاّ تَنْصُرْنا فاتَّقِ اللهَ أنْ لا تَكُونَ مِمَّنْ يُقاتِلُنا، فَوَاللهِ لاَ يَسْمَعُ واعِيَتَنا أحَدٌ ثُمَّ لَمْ يَنْصُرْنا إلاّ هَلَكَ».

فقال له: أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله تعالى، ثمّ قام الحسين عليه السلام من عنده حتّى دخل رحله.

وقال الدينوري: قال عليه السلام:

«أمّا إذا رَغِبْتَ بِنَفْسِكَ عَنّا فَلا حاجَةَ لَنا إلى فَرَسِكَ».

وقال القندوزي: حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل وإذا بفسطاط مضروب لرجل يقطع الطريق فقال له ـ عليه السلام ـ:

«إنَّكَ عَمِلْتَ عَلى نَفْسِكَ ذُنُوباً كَثيرَةً فَهَلْ لَكَ مِنْ عَمَلٍ تَمْحُوُ بِهِ ذُنُوبَكَ؟».

قال: بماذا؟

قال:

«تَنْصُرُ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّم».

قال: أعطيك فرسي وسيفي وأعفني من ذلك.

قال:

«إذا بَخِلْتَ عَلَيْنا بِنَفْسِكَ فَلا حاجَةَ لَنا بِمالِكَ».

وتلا هذه الآية:

((مَآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا )).(١)

ثم قال ـ عليه السلام ـ:

«سَمِعْتُ جَدّي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ يَقُول: مَنْ سَمِعَ واعيَتَنا أهْلَ البَيْتِ وَلَمْ يُجِبها أكَبَّهُ اللهُ عَلى مَنْخَرَيْهِ في النّارِ».

ولمّا كان في آخر اللّيل أمر فتيانه بالإستقاء من الماء، ثمّ أمر بالرّحيل، فارتحل من قصر بني مقاتل، فقال عقبة ابن سمعان: فسرنا معه ساعة فخفق عليه السلام وهو على ظهر فرسه خفقة ثمّ انتبه وهو يقول:

«إنّا للهِ وَإنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ».

ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين فقال:

(مِمَّ حَمَدْتَ الله واسْتَرْجَعْتَ)؟

فقال ـ عليه السلام ـ:

«يا بُنَيَّ إنّي خَفَقْتُ بِرَأسي خَفْقَةً فَعَنَّ لي فارِسٌ عَلى فَرَسٍ وَهُوَ يَقُولُ: القَوْمُ يَسيرونَ وَالمَنايا تَسيرُ إلَيْهِمْ، فَعَلِمْتُ أنَّها أنْفُسَنا نُعِيَتْ إلَيْنا».

فقال له:

(يَا أبَتِ لاَ أراكَ اللهُ سوءاً، ألَسْنا عَلى الحَقّ)؟

قال ـ عليه السلام ـ:

«بَلى وَاللهِ الَّذي إلَيْهِ مَرْجِعُ العِبادِ».

فقال:

(فَإنَّنا إذاً ما نُبالي أن نَمُوتَ مُحِقّين).

فقال له الحسين عليه السلام:

«جَزاكَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرَما جَزى وَلَداً عَنْ والِدِهِ».

## لقاؤه عليه السلام مع عمرو بن قيس

وقال ابن بابويه: حدّثني الحسين بن أحمد، قال: حدثني أبي عن محمد بن أحمد، عن محمد بن إسماعيل، عن علي ابن الحكم، عن أبيه، عن أبي الجارود، عن عمرو بن قيس المشرقي، قال: دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عمّ لي وهو في قصر بني مقاتل فسلمنا عليه، فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك؟

فقال:

«خضابٌ وَالشَّيْبُ إلَيْنا بَني هاشِمٍ يُعَجِّلُ».

ثم أقبل علينا فقال:

«جِئْتُما لِنُصْرَتي؟».

فقلت: إنّي رجل كبير السنّ كثير الدَّين، كثير العيال، وفي يدي بضائع للنّاس ولا أدري ما يكون وأكره أن أضيع أمانتي.

وقال له ابن عمي مثل ذلك.

قال لنا ـ عليه السلام ـ:

«فانْطَلِقا فَلا تَسْمَعا لي واعِيَةً، وَلا تَريا لي سَواداً، فَإنَّهُ مَنْ سَمِعَ واعِيَتَنا أوْ رَأى سَوادَنا فَلَمْ يُجِبْنا وَلَمْ يُغِثْنا كانَ حَقّاً عَلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنْ يَكُبَّهُ عَلى مِنْخَرَيْهِ في النّارِ».

قال أبو جعفر: وحدّثنا محمد بن جيد عن أبيه جيد بن سالم بن جيد، عن راشد بن مزيد، قال: شهدت الحسين بن علي عليهما السلام وصحبته من مكة حتى أتينا القطقطانة ثم استأذنته في الرجوع فأذن فرأيته، وقد استقبله سبع فكلمه فوقف له قال:

«ما حالُ النّاسِ بِالْكُوفَةِ؟».

قال: قلوبهم معك وسيوفكم عليك.

قال ـ عليه السلام ـ:

«وَمَنْ خَلَّفْتَ بها؟».

قال: ابن زياد وقد قتل مسلم بن عقيل.

قال:

«وَأيْنَ تُريدُ».

قال: عدن.

قال ـ عليه السلام:

«أيُّها السَّبُعُ هَلْ عَرَفْتَ ماءَ الْكُوفَةِ».

قال: ما علمنا من علمك إلاّ ما زودتنا، ثم انصرف وهو يقول:

((مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ )).(٢)

روى سفيان بن عيينة، عن عليّ بن زيد، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلاّ ذكر يحيى بن زكريا وقتله وقال يوماً:

«وَمِنْ هَوانِ الدُّنْيا عَلَى اللهِ أنَّ رَأسَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيّا أُهْدِيَ إلى بَغِيٍّ مِنْ بَغايا بَني إسْرائيلَ».

وعن مقاتل: عن زين العابدين عن أبيه عليهما السلام قال:

«إنَّ امْرَأةَ مَلِك بَني إسْرائيلَ كَبُرَتْ وَأرادَتْ أنْ تُزَوِّجَ بِنْتَهَا مِنْهُ لِلْمَلك، فَاسْتَشارَ المَلِكُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيّا فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَعَرَفَتِ المَرْأةُ ذلِكَ وَزَيَّنَتْ بِنْتَها وَبَعَثَتْهَا إلَى المَلِك فَذَهَبَتْ وَلَعِبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقالَ لَهَا المَلِكُ: ما حاجتك؟

قالَتْ: رأس يحيى بن زكريّا.

فقالَ المَلِكُ: يا بنيّة حاجة غير هذه.

قالَتْ: ما أريد غيره، وكانَ المَلِكُ إذا كَذَبَ فيهِمْ عَزَلَ مِنْ مُلْكِه، فَخُيِّرَ بَيْنَ مُلْكِه وَبَيْنَ قَتْلِ يَحْيَى فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَعَثَ بِرَأسِه إلَيْهَا في طَشْتٍ مِنْ ذَهَب، فَأُمِرَتِ الأرْضُ فَأَخَذَتْهَا، وَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ بُخْتَ نُصَّرَ فَجَعَلَ يَرْمي عَلَيْهِمْ بِالمَناجيقِ وَلاَ تَعْمَلُ شَيْئاً، فَخَرَجَتْ عَلَيْه عُجُوزٌ مِنَ المَدِينَةِ فَقالَتْ: أيها المسلم إن هذه مدينة الأنبياء لا تنفتح إلا بما أدلك عليه.

قَالَ: لك ما سألت.

قَالَتْ: ارمها با لخبث والعذرة، فَفَعَلَ فَتَقَطَّعَتْ فَدَخَلَهَا فَقَالَ: عليّ بالعجوز، فقالَ لَها: ما حاجتك؟ قَالَتْ: في المدينة دم يغلي فاقتل عليه حتى يسكن، فَقَتَلَ عَلَيْهِ سَبْعينَ ألْفاً حَتّى سكَنَ.

يَا وَلَدِي يَا عَلِيُّ لاَ يَسْكُنُ دَمي حَتّى يَبْعَثَ اللهُ المَهْدِيَّ فَيَقْتُلَ عَلى دَمي مِنَ المُنافِقينَ الكَفَرَةِ الفَسَقَةِ سَبْعينَ ألْفاً».(٣)

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥١.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٦٧ ـ ٣٧١.




# أفلا يتدبرون القرآن؟

## الحلقة الثانية

### هل يجوز التدبر في القرآن؟

عندما نعود إلى الروايات ـ نجدها تؤكد المعنى ذاته.

أ : فهي تأمر بالتأمل في القرآن الكريم، من أجل استخراج معارفه وكنوزه الدفينة.

ففي الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«اعرفوا القرآن (أي أحكموا إعراب أواخر الكلمات والجمل) والتمسوا غرائبه (أي تأملوا فيه، وتفهموا معانيه الغريبة)».

وفي الكافي عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال:

«آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر ما فيها».

ب : ومن أجل ذلك ورد الأمر بترتيل القرآن لأنه أقرب إلى التركيز والتأمل.

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

((...وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا )).

«بيّنه تبييناً ولا تهذه هذ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن افزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة».

فلهذا سرعة القراءة، ونثر الرمل هو التباطي فيها بحيث لا ترتبط كلماتها، والتدبر في كلمات القراءة، هو التأمل في الآيات، والتدبر في كلمات الله.

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«قف عند وعده ووعيده، وتفكّر في أمثاله ومواعظه».

ج : وتعطينا الروايات نماذج عملية في هذا المجال.

فعن الإمام الصادق عليه السلام:

«كان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقرا أحدهم القرآن في شهر واحد أو أقل، إن القرآن لا يقرأ هذرمة، ولكن يرتل ترتيلاً، فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسأل الله الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها، وتعوذ بالله من النار».

وفي حديث آخر أن الإمام الرضا عليه السلام كان يقرأ القرآن في فترة غير قصيرة، وعندما سئل عن ذلك أجاب:

«ما مررت بسورة إلا فكرت في مكيها ومدنيها، وعامها وخاصها، وناسخها ومنسوخها...»».

د : ونجد في بعض الروايات دعوة ضمنية إلى التدبر في آيات القرآن، واستنباط الأحكام والقيم الإسلامية منها ـ لمن كان من أهله ـ.

فعن الكافي والتهذيب الاستبصار ـ عن عبد الأعلى مولى آل سام قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على أصبعي مرارة فكيف أصنع بالوضوء؟

قال عليه السلام:

«يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّ وجل، قال الله عزّ وجل:

((...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ .. )).

والمفهوم من قول الإمام (يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّ وجل) هو أن هذا الأمر لا يحتاج إلى السؤال.

علماً بأن استخراج هذا الحكم يحتاج إلى التأمل، ذلك لأن الآية الكريمة تدل على عدم وجوب مسح الرجل مباشرة لأنه حرج، فيدور الأمر ـ في النظرة الأولية ـ بين:

سقوط المسح رأساً.

وبين بقائه لكن مع سقوط شرط (مباشرة الماسح للممسوح).

إذن، فالأية بظاهرها لا تدل على لزوم المسح على المرارة.

لكن التأمل الدقيق يقضي: بأن المسح ـ بما هو مسح ـ لا حرج فيه، وإنما االموجب للحرج هو اشتراط (المباشرة) في المسح.

إذن:

فالمنفي في الآية الكريمة هو: (المسح المباشر) وليس (أصل المسح).

ولذلك فالمفروض في هذه الحالة المسح على الأصبع المغطاة.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى كلمة (وأشباهه) في قول الإمام عليه السلام:

«يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّ وجل».

فالإمام عليه السلام لم يقصر الحكم على هذه الآية الكريمة، وإنما سحب الحكم إلى كافة الآيات القرآنية المشابهة.

وهكذا...

ونجد الإمام عليه السلام يدعو أصحابه إلى التأمل في الآيات القرآنية، واستنباط المفاهيم والأحكام الدقيقة منها.

هذا كله.

إضافة إلى:

١ ـ إنّ القرآن هو رسالة الله إلى

الإنسان، كما قال سبحانه:
((شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ...)).
وقال سبحانه وتعالى:
((هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ...)).
ومن الطبيعي أن تكون الرسالة متناسبة مع فهم المرسل إليه.
٢ ـ القرآن يصدر خطاباته ـ عادة بكلمة:
((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ...)).
أو
((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...)).
أو ما أشبه، وليس صحيحاً أن يوجه أحد الخطاب لمن لا يفهم من كلماته شيئاً.
٣ ـ القرآن نزل حجة على الرسالة، وقد تحدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم البشر أن يأتوا بسورة من مثله.
ومعنى ذلك: أن العرب كانوا يفهمون القرآن من ظواهره، ولو كان القرآن من قبيل الألغاز لم تصح مطالبتهم بمعارضته، ولم يثبت لهم إعجازه لأنهم ما كانوا يستطيعون فهمه.
٤ ـ لقد استوعب المسلمون الأولون معاني كثير من الآيات وفهموها بمجرد نزولها عليهم، باستثناء آيات معيّنة سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها ـ.
ولم يتعاملوا يوماً مع آيات القرآن تعاملهم مع الأحاجي والألغاز.
وفي ختام هذا الفصل ينبغي أن نشير إلى نقطة هامة وهي: أن الاستنباط من آيات الأحكام ونحوها يتوقف على (خبروية) معيّنة، لا تحصل إلا ببلوغ الإنسان مرحلة (الاجتهاد)، فالتدبر في هذه الآيات يكون وقفاً على (المجتهدين) بالطبع، أما التدبر في الآيات الأخرى فهو أمر مفتوح لغيرهم أيضاً.[٥]

## ماذا نصنع بالشبهات حول عدم جواز التدبر بالقرآن الكريم

الشبهة الأولى: الروايات نهت عن ذلك
يقولون: قد نهت الروايات الشريفة عن (التفسير بالرأي)، وهددت من يفعل ذلك بنار جهنم، وقالت:

من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهوى أبعد من السماء).
(من فسر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر).
ولكن: ما هي النتيجة؟ عن ذلك يجيبنا حديث آخر فيقول:
«من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».
نقول: إنّ (التفسير بالرأي) لا يعني (التدبر في القرآن) إذ أن هذه الروايات لا يمكن أن تنهى عن نفس ما أمر به القرآن الكريم والروايات الأخرى، بل إنها تعني أحد المحتملات التالية:
١ ـ أن تحمل الفرد آراؤه الشخصية، على تفسير معاني آيات القرآن بأحد الأشكال التالية:
ألف: حمل اللفظ القرآني على خلاف ظاهره.
باء: حمل اللفظ القرآني على أحد احتماليه ـ دون أي دليل.
مثلاً: يحمل (القرء) في قوله تعالى:
((وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ)).
على الحيض دون الطهر (باعتبار أن (القرء) لفظة مشتركة بين الطهرة والحيض) من دون أي دليل.
جيم: التعسف في تأويل الآيات القرآنية.
أما الأسباب الكامنة وراء هذا (التحريف المعنوي) الذي أتى تلبية لآراء الفرد فهي:
أولا: الأهواء الشخصية للفرد.
إن بعض من لم يدخل نور الإيمان قلوبهم يحاولون أن يخضعوا آيات القرآن، لأهوائهم وشهواتهم، ولذلك فهم يحاولون فهم الآيات القرآنية (بآرائهم) أي حسب أهوائهم وشهواتهم.
فمثلاً: (يحيى بن أكثم) ـ القاضي الشهير كان يعاني من (الشذوذ الجنسي) حتى قال عنه ابن خلكان: (ألوط قاض بالعراق نعرفه)!
وكان محبوب المأمون، فقال له يوماً: لمن هذا الشعر:
قاض يرى الحد في الزنا ولا
يرى على من يلوط من بأس
فأجابه: الذي قال:
ما أحسب الجور ينقضي وعلى
الأمة وآل من آل عباس!
يحيى بن أكثم هذا، كان (يديّن) عمله الشائن، ويتمسك بآية من القرآن في مشروعية ذلك! والآية هي قوله تعالى:
((أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا)).
فكان يستفيد من ذلك: إباحة (الزواج) وإباحة (الشذوذ) كذلك!
إن الآية الكريم تقول:
((يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا)).
وهي تعني أن الناس تجاه (إنجاب الذريّة على أربعة أقسام: فقسم لا يولد له إلا إناث وقسم لا يولد له إلا الذكور، وثالث: يولد له الإثنان معاً، ورابع: لا يولد له أي واحد منهما، بل يظل عقيما!
ولكن يحيى بن أكثم اقتطع هذه الجملة من القرآن، وفصلها عن سياقها العام، لكي يرضي أهواءه وشهواته.
فقد سأل الإمام عن قوله تعالى: (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا)، فأجاب عليه السلام: «أي: يولد له الذكور، ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقرنين: زوجان، كل واحد منهما زوج.
وأضاف الإمام وهو يضرب على الوتر الحساس:
«ومعاذ الله؛ أن يكون عنى الجليل (أي الله تعالى) ما لبست به على نفسك، تطلب الرخص لارتكاب الإثم، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا».
إن هذا الشكل من (التحريف المعنوي) هو الذي يصدق عليه ـ حسب الاحتمال الأول ـ (من فسر القرآن برأيه) أي حسب أهوائه وشهواته، وهذا الشكل من التحريف ـ لا تزال قطاعات من الأمة تعاني من آثاره السلبية حتى الآن.[١]

---
(١) التدبر في القرآن للسيد محمد رضا الشيرازي: ج١، ص٣٠ ـ ٣٩.

# خصائص القرآن الكريم في خطب نهج البلاغة





«كتـاب رَبِّكُمْ فيكُمْ: مُبَيِّناً حَلالَهُ وَحَرامَهُ وَفَرائِضَـهُ وَفَضائِلَـهُ وَناسِـخَهُ وَمَنْسُـوخَهُ وَرُخَصَـهُ وَعَزائِمَـهُ وَخاصَّـهُ وَعامَّـهُ وَعِبَرَهُ وَأَمْثالَـهُ وَمُرْسَـلَهُ وَمَحْـدُودَهُ وَمُحْكَمَـهُ وَمُتَشابِهَهُ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ وَمُبَيِّناً غَوامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذ ميثاقُ عِلْمِه وَمُوَسَّع عَلَى الْعِبادِ في جَهْلِه وَبَيْنَ مُثْبَت في الْكِتاب فَرْضُهُ وَمَعْلُوم في السُّنَّة نَسْخُهُ وَواجِب في السُّنَّة أَخْذُهُ وَمُرَخَّص في الْكِتاب تَرْكُهُ وَبَيْنَ واجِب بِوَقْتِه وَزائِل في مُسْتَقْبَلِه وَمُبايَنٌ بَيْنَ مَحارِمِه مِنْ كَبِير أَوْعَدَ عَلَيْه نيرانَهُ أَوْ صَغير أَرْصَدَ لَـهُ غُفْرانَهُ وَبَيْنَ مَقْبُول في أَدْناهُ مُوَسَّع في أَقْصاهُ».

لقـد بحثـت أهميـة القـرآن الكريـم وعظمته كراراً ومراراً في خطب نهج البلاغة بحيث تناولت كل خطبة جانباً من الجوانب القرآنية.

وقد أشار الإمام (عليه السلام) بشكل جامع إلى شمولية القرآن وخطوطه العريضة في هـذه العبارات، فقد هـدف الإمام (عليه السـلام) لبيان حقيقة مهمّة وهي أن رسول الله (صلـى الله عليه وآلـه) رحل عن الأمّة بعـد أنّ ورثهـا كتـاب الله الـذي نظم جميع شـؤون حياة الأمّة المادية والمعنوية؛ الفردية والاجتماعيـة في كافـة الميادين والمجالات؛ فقد قال(عليه السـلام): «كتاب ربّكم فيكم» ثم أشار(عليه السلام)إلى أربع عشرة نقطة بشأن شمولية القرآن وخصائصه:

١ . اتضـاح الحـلال والحـرام والواجب والمستحب «مبيناً حلاله وحرامه وفرائضه وفضائلـه» والعبـارة إشـارة إلى الأحـكام الإسـلامية الخمسـة المعروفـة، فالفرائض تشـير إلى الواجبـات، والفضـائل إلى المستحبات، والحرام إلى المحرمات وأخيراً الحلال الذي يشمل المباحاة والمكروهات.

٢ . بيـان الناسـخ والمنسـوخ «وناسـخه ومنسوخه» المراد بالناسخ والمنسوخ الأحكام الجديـدة التي تزيل الأحكام القديمة والتي تقتصـر علـى عصـر الرسـالة حـين نـزول الوحـي الـذي كان يعـني إمكانيـة تغيـير الأحـكام. فبعض الأحـكام وإن كانت مطلقة في ظاهرهـا، غـير أنّهـا مقيـدة باطنيـاً ومختصـة بزمـان معـين، فـاذا انتهـى ذلك الزمان نفـد حكمها بحكم جديد آخر يطلق عليه اسـم الناسـخ مـن قبيـل التصدق قبل مناجاة النبي(صلى الله عليه وآله): (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً).

فقـد كان هذا الأمر امتحاناً للمسـلمين لم يعمـل بـه سـوى أمـير المؤمنين(عليـه السلام) حتى نسخ بقوله تعالى: (أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُـوا بَـيْنَ يَدَيْ نَجْواكُـمْ صَدَقات فَإِذ لَمْ تَفْعَلُـوا وَتابَ اللّه عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُـوا الـزَّكاةَ وَأَطِيعُـوا اللّه وَرَسُـولَهُ وَاللّه خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ).

٣ . «ورخصـه وعزائمـه». فلعـل هـذه العبارة إشـارة إلى ما تعـارف اليوم في علم الفقه والأصول بأن حكم الواجب أو الحرام إذا رفع قد يستبدل بحكم الإباحة كقوله: (وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا).

فمـن المسـلم به أنّ الصيـد ليس واجباً بعـد الخروج من الإحرام، بل مباح، وأحياناً يسـتبدل بحكم ضده، كقوله: (وَ إِذا ضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ) ومعلوم أنّ صلاة القصر في السفر واجبة ليسـت مباحة، فيقال للأولى رخصة وذلـك لجـواز طـرفي العمـل ويقـال للثانية عزيمـة حيث يجب علـى المكلف جزم عزمه بالعمـل. وهنالـك إحتمـال آخر في تفسـير هاتين المفردتـين، كأن يكون المراد بالرخص الأحكام الواجبة أو المحرمة التي اسـتثنيت في بعض الموارد من قبيل قوله: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عاد فَلا إِثْمَ عَلَيْه). أمّا العزائم فهي الأحكام التي لا سـبيل إلى الاسـتثناء اليهـا، كقوله: (وَاعْبُدُوا اللّه وَلا تُشْـرِكُوا بِهِ شَيْئاً).

٤ . «وخاصـه وعامـه»، فالخـاص هـو الحكم الذي لا يشـمل كافة المسلمين كحكم الحـج الـذي يختـص بمن لـه الاسـتطاعة (وَللّه عَلَـى النّـاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَـبِيلاً)والعام هو الحكم الذي يشـمل جميـع المسـلمين كاقامـة الصـلاة (وأقيموا الصلاة).

وقيل أيضاً المـراد بالخاص الآيات التي لها ظاهر عام غير أنّ المراد بها حالة خاصة كآية الولاية: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّه وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُـوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّـلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُـمْ راكِعُـونَ). حيث نعلم بوجـود مصداق واحـد لهذه الآيـة فقط وهو أمـير المؤمنين علي(عليه السلام).

أمّـا العـام فيراد به الآيـات ذات العموم والـتي تشـمل الجميـع كقولـه عـز وجـل: (وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما).

٥ . «وعبره وأمثاله»، عبر من مادة عبرة وقـد اشـتقت من العبـور، ولذلـك يصطلح بالعبرة على الحادثة التي تعرض للإنسـان ويتخطاهـا، والقرآن الكريم مليء بالدروس والعبر بشأن تواريخ الأنبياء والأمم السالفة حيـث تتضمن كل حادثة مـن تلك الحوادث المعانـي والـدروس للقيمة التي تسـتفيدها البشرية في مسيرتها الحياتية.

أمّا الأمثال فقد تكون إشارة إلى الأمثال التي وردت في القرآن الكريم بتلك الكثرة من قبيل: (ضَرَبَ اللّه مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَـجَرَة طَيِّبَة)، كما يمكن أن تكون إشارة إلى بعض

الأفـراد الذيـن أصبحت سـيرتهم وحياتهم مثلاً يحتذى به كقوله عز من قائل: (وَضَرَبَ اللّه مَثَـلا للَّذينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فرْعَوْنَ إذ قالَتْ رَبِّ ابْن لي عنْدَكَ بَيْتاً في الجَنّة وَنَجّني منْ فرْعَوْنَ وَعَمَله وَنَجّني منَ القَوْم الظّالمينَ).

٦ . كما بيّن القرآن أحكام المطلق والمقيّد «ومرسـله ومحدوده» فالمطلق الأحكام التي بيّنت دون قيد أو شـرط كقوله سـبحانه: (وَأَحَـلَّ اللّه البَيْـعَ) وأمّا المقيد فهو الحكم الـذي وضعـت لـه بعـض القيـود والحـدود كقوله: (تجارَةً عَنْ تَراض منْكُمْ).

ومـن الواضـح أنّ الجمـع بـين المطلـق والمقيّـد يتطلب منـا تقييد المطلق بواسـطة المقيّـد، ففي المثال المذكـور لا تصح المعاملة إلاّ بتراضـي الطرفـين. ويمكـن أن يكـون المـراد بالمطلـق الأحكام الخالية مـن القيود والشـروط، في حـين الأحـكام المقيّـدة هـي الأحكام المحـدّدة بالقيـود والشـروط مـن قبيل كفارة القسم التي جاء فيها (أَوْ تَحْريرُ رَقَبَـة)، بينمـا جـاء في كفـارة القتل الخطأ (فَتَحْريرُ رَقَبَة مُؤْمنَة).

٧ . «ومحكمه ومتشابهه». فالمراد بالمحكم الآيـات الواضحـة الدلالـة الـتي لا تحتمـل سوى وجـه واحد كقوله سـبحانه: (قُـلْ هُوَ اللّه أَحَـدٌ) بينمـا تحتمـل الآيات المتشـابهة عدّة وجوه، وإن أمكن بيانها من خلال سائر الآيـات القرآنيـة كقوله: (إلى رَبِّهـا ناظرَةٌ) حيـث يزال ابهـام هذه الآيـة وغموضها من خـلال الآيـات التي نزهـت اللّه عـن المكان والزمـان والجهة والجسـم والرؤية وما إلى ذلك كقولـه: (لا تُدْركُهُ الأَبْصـارُ وَهُوَ يُدْركُ الأَبْصارَ).

٨ . مـن الخصائـص الاُخـرى هـي بيان لمجمـل القـرآن وغوامضه من خلال السـنّة النبويـة «مفسـراً مجمله ومبينـاً غوامضه». فالمجمـل الآيات التي تأمـر باقامة الصلاة ولم تشـر إلى أركانها وعـدد ركعاتها فيقوم النبي(صلـى اللّه عليه وآله) بشـرحها، أمّا المـراد بالغوامض الحروف القرآنية المقطعة والـتي بيّنـت بواسـطة الأحاديـث النبويـة. ولعل الفارق بين الغوامض والمتشـابهات هو أن المتشـابهات تنطوي علـى معان ومفاهيم للوهلـة الاولى بينما يكتـف الاولى الابهام كالمثال السابق.

٩ . هنـاك بعض الحقائـق القرآنية التي أخـذ الميثـاق علـى معرفتهـا ولا يعـذر أحد بجهلها في حين يعذر في بعضها الآخر: «بين مأخوذ ميثاق علمه وموسـع علـى العباد في جهلـه» فالحقائق الـتي لا يعذر أحد بجهلها مـن قبيل آيـات التوحيد والصفـات الإلهية الـتي تجب معرفتهـا على جميـع المؤمنين، والثانيـة من قبيل الـذات الإلهية التي ليس لأحد من سبيل إلى معرفتها وكذلك مسألة المعـاد والقيامـة الـتي ينبغـي الإيمـان بها، في حـين ليسـت هنالـك من ضـرورة للإلمام بالتفاصيل المتعلقة بالجنّة والنار.

١٠ . وهنـاك بعـض الأحـكام القرآنيـة المختصة بزمان معيّن والتي نسـختها السنّة النبوية «وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السـنّة نسـخه» مـن قبيـل عقـاب المـرأة المحصنة بالحبس المؤبد إذا ارتكبت فاحشة الزنا (وَاللاّتي يَأْتينَ الفاحشَـةَ منْ نسـائكُمْ فَاسْتَشْـهدُوا عَلَيْهنَّ أَرْبَعَةً منْكُمْ فَإنْ شَهدُوا فَأَمْسـكُوهُنَّ في البُيُوت حَتّى يَتَوَفّاهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّه لَهُنَّ سَـبيلاً) ثم نسخت السنّة النبوية هذا الحكم بالأحاديث التي وردت في باب رجم المحصنة.

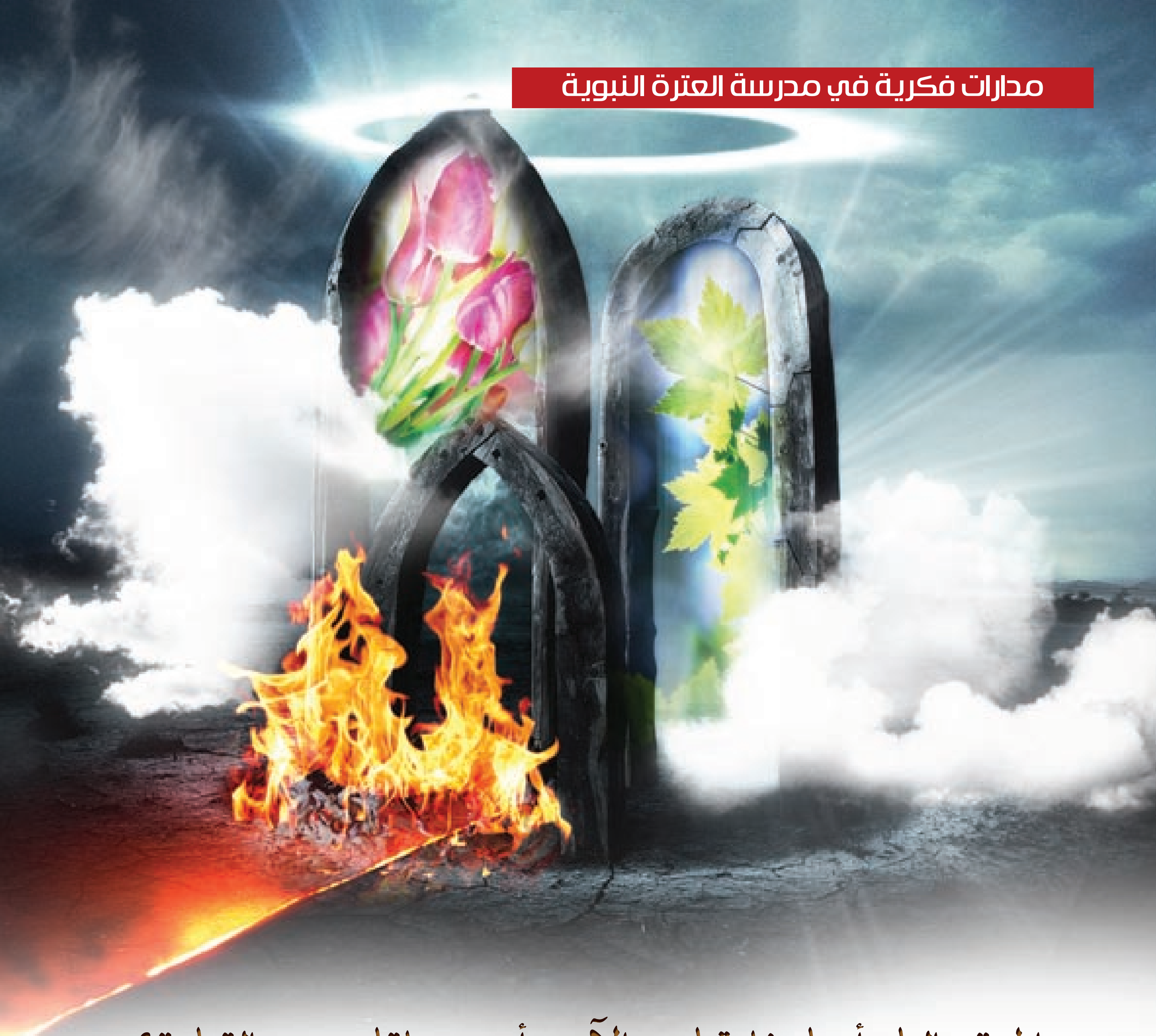
١١ . الآيات الناسـخة للسنّة بشأن بعض الأحـكام الـتي صرّحـت السـنّة بالعمل بها بينما أجازت الآيات القرآنية تركها «وواجب في السـنّة أخذه ومرخـص في الكتاب تركه» من قبيل حكم الصوم في بداية التشريع حيث لم يكـن يسـع الصائـم الافطار سـوى أوائل الليل، فاذا نام وأفاق لم يجز له تناول شـيء مـن المفطرات، غـير أن هذه السـنّة النبوية نسـخت فيما بعد بالآية القرآنية الشـريفة: (... وَكُلُـوا وَاشْـرَبُوا حَتّى يَتَبَـيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ منَ الخَيْط الأَسْوَد منَ الفَجْر).

١٢ . الأحـكام الواجبـة لبعـض الأوقات «وبـين واجـب بوقتـه وزائـل في مسـتقبله» فالعبـارة تشـير إلى الواجـب المؤقت وغير المؤقـت; الواجـب المؤقـت مـن قبيـل صوم شـهر رمضان وارتفاعه في غير هذا الشهر، خلافـاً للتكاليف الدائميـة كالأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكـر وإقامـة الحق والعـدل الواجبة على الـدوام. وذهب البعض إلى أنّ العبـارة تشـير إلى بعض الواجبـات كالحج الذي يجب على المكلف لمرة واحدة في العمر ثم يزول، واسـتدلوا على ذلك بالهجرة التي وجبت على المسلمين في بداية انبثاق الدعوة الإسـلامية . حيـث كان المسـلمون يعيشـون حالـة مـن المحدودية . ثم زال هـذا الوجوب بعـد فتح مكة، وإن كانت الهجرة على حالها إلى يومنا هذا في المناطق التي تشهد الحالة المكية قبل الهجرة.

١٣ . فـرز أنـواع المحرمـات عـن بعضها وبيان كل واحدة منها في إشـارة إلى الكبائر الـتي توعـد اللّه مرتكبيهـا والصغائر التي وعـد بمغفرتهـا «ومبايـن(٢) بـين محارمه مـن كبير أوعد عليه نيرانّه أو صغير أرصد له غفرانه» فالكبائر من قبيل الشـرك وقتل النفس التي صرّحت الآيات القرآنية بتوعد مرتكبيها بالعذاب، فقد ورد في الآية ٧٢ من سورة المائدة بخصوص الشرك (وَمَنْ يُشْركْ بـاللّه فَقَدْ حَرَّمَ اللّه عَلَيْه الجَنَّةَ وَمَأْواهُ النّارُ) وفي الآية ٩٣ من سـورة النسـاء بشأن قتل النفـس (وَمَـنْ يَقْتُـلْ مُؤْمناً مُتَعَمِّـداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالداً فيها) وأمّا الصغائر فمن قبيل اللمـم الـواردة في الآية ٣٢ من سـورة النجم (الَّذيـنَ يَجْتَنبُونَ كَبائرَ الإثْـم وَالفَواحشَ إلاّ اللَّمَمَ)حيـث ذهـب بعض المفسـرين إلى أنّ المراد باللمـم انعقاد النية على المعصية دون الإتيان بها أو المعاصي عديمة الأهمية.

١٤ . الأعمـال الـتي يقبـل القليـل منهـا وورد الحـث علـى كثيرهـا «وبـين مقبول في أدنـاه، موسـع في أقصـاه». فالعبـارة تشـير إلى الأعمـال الـتي ورد التأكيد على الإتيان بقليلها وللأُمّة الاتيان بالمزيد.

وقد اسـتدل بعض شـرّاح نهـج البلاغة علـى ذلك بتـلاوة القرآن(فَاقْرَءُوا ما تَيَسَّـرَ مـنَ القُـرْآن). فقـراءة اليسـير مـن القرآن مؤكـدة وتـرك للناس قـراءة الكثـير (وهذا ما نلمسـه بوضوح في أواخر سورة المزمل). وبالمقابل هنالك الأحكام الإلزامية التي لا يسـير ولا كثـير فيها مـن قبيل صوم شـهر رمضان، حيث يلزم المكلف بصوم شهر معيّن دون زيـادة أو نقيصة (الآيات ١٨٣ إلى ١٨٥ من سورة البقرة).



# الجنة والنار أهما مخلوقتان الآن أم ستخلقان يوم القيامة؟

روى الشيخ الصدوق في التوحيد والأمالي بإسناده عن الهرويّ، قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله، أخبرني عن الجنّة والنار أهما اليوم مخلوقتان ؟ فقال: «نعم، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النار لمّا عُرج به إلى السماء». قال: فقلت له: فإنّ قوماً يقولون: إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين. فقال عليه السلام: «ما أُولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذّبنا وليس من ولايتنا على شيء وخلّد في نار جهنّم، قال اللّه عزّ وجلّ: {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ❖ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}. (التوحيد للصدوق ص ١١٨، الأمالي للصدوق ص ٤٦١ ).

## خلق الجنة والنار من ضروريات مذهب الإمامية

كون الجنّة والنار مخلوقتين الآن من ضروري مذهب الإماميّة وعليه جمهور المسلمين إلّا شرذمة من المعتزلة ذهبوا إلى أنّهما سيخلقان في القيامة، والآيات المتظافرة والأخبار المتواترة دافعة لقولهم. وأكثر الأخبار تدلّ على أنّ الجنّة فوق السماوات السبع، والنار في الأرض السابعة، وعليه أكثر المسلمين.

قال شارح المقاصد: (جمهور المسلمين على أنّ الجنّة والنار مخلوقتان الآن، خلافاً لأبي هاشم والقاضي عبد الجبّار ومن يجري مجراهما من المعتزلة، حيث زعموا أنّهما تخلقان يوم الجزاء، لنا وجهان: الأوّل: قصّة آدم وحوّاء وإسكانهما الجنّة،

ثمّ إخراجهما عنها بأكل الشجرة، وكونهما يخصفان عليهما من ورق الجنّة على ما نطق به الكتاب والسنّة، وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالفين، وحملها على بستان من بساتين الدنيا يجري مجرى التلاعب بالدين والمراغمة لإجماع المسلمين، ثمّ لا قائل بخلق الجنّة دون النار فثبوتها ثبوتها.

الثاني: الآيات الصريحة في ذلك كقوله: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ❖ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❖ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}. وكقوله في حقّ الجنّة: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} وغير ذلك من الآيات الكريمة، وحملها على التعبير بلفظ الماضي مبالغة في تحقّقه خلاف الظاهر، فلا يعدل إليه بدون قرينة).

ثمّ قال: (ولم يرد نصّ صريح في تعيين مكان الجنّة والنار، والأكثرون على أنّ الجنّة فوق السماوات السبع وتحت العرش تشبّثاً بقوله تعالى: {عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❖ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}، وقوله عليه السلام: «سقف الجنّة عرش الرحمان، والنار تحت الأرضين السبع، والحقّ تفويض ذلك إلى علم العليم الخبير».

وقال الشيخ الصدوق: (اعتقادنا في الجنّة والنار أنّهما مخلوقتان، وأنّ النبيّ صلى اللّه عليه وآله قد دخل الجنّة، ورأى النار حين عرج به، واعتقادنا أنّه لا يخرج أحد من الدنيا حتّى يرى مكانه من الجنّة أو النار).

وربّما يقال: إذا كانت الجنّة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض؟ وأُجيب بأنّ الجنّة فوق السماوات السبع تحت العرش، والنار تحت الأرضين السبع. وربّما يجاب بأنّه لو جعلت السماوات والأرض طبقاً طبقاً بحيث يكون كلّ واحد من تلك الطباق سطحاً مؤلّفاً من أجزاء لا تتجزّأ، ثمّ وصل البعض بالبعض طبقاً واحداً لكان ذلك مثل عرض الجنّة، وهذا غاية في السعة لا يعلمها إلّا اللّه. وربّما يجاب أيضاً بأنّ المقصود المبالغة في وصف سعة الجنّة؛ إذ لا شيء عندنا أعرض منهما كما في قوله تعالى: « خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الأَرْضُ » فإنّ أطول الأشياء بقاءً عندنا السماوات والأرض.

وذهب بعض المحقّقين من العرفاء إلى أنّ الجنّة والنار مخلوقتان كالدار المسوّرة بالحيطان الخالية من العمارة، وعمارتهما إنّما تكون بأعمال العباد من الطاعات والمعاصي، ويرشد إلى ذلك كثير من الآيات والأخبار، فعن الصادق عليه السلام عن آبائه، قال: «قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله:

من قال سبحان اللّه غرس اللّه له بها شجرة في الجنّة، ومن قال الحمد للّه غرس اللّه له بها شجرة في الجنّة، ومن قال لا إله إلّا اللّه غرس اللّه له بها شجرة في الجنّة، ومن قال اللّه أكبر غرس اللّه له بها شجرة في الجنّة، فقال رجل من قريش: يا رسول اللّه، إنّ شجرنا في الجنّة لكثير، قال: نعم ولكن إيّاكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}.

وعن الصادق عليه السلام قال: «من قرأ سورة الزمر واستخفّها من لسانه بُني له في الجنّة ألف مدينة، وفي كلّ مدينة ألف قصر، وفي كلّ قصر مائة حوراء، وله مع هذا عينان تجريان، وعينان نضّاختان، وعينان مدهامّتان، وحور مقصورات في الخيام، وذواتا أفنان، ومن كلّ فاكهة زوجان).

وفي تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام قال: «من مسح يده برأس يتيم رفقاً به جعل اللّه له في الجنّة بكلّ شعرة مرّت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا وما فيها، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وهم فيها خالدون».

ثمّ قال: «قال الحسين بن عليّ: من كفل لنا يتيماً قطعته عنّا غيبتنا واستتارنا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتّى أرشده وهداه، قال اللّه عزّ وجلّ: يا أيّها العبد الكريم المواسي، إنّي أولى بهذا الكرم، اجعلوا له – يا ملائكتي – في الجنان بعدد كلّ حرف علّمه ألف ألف قصر، وأضيفوا إليها ما يليق بها من سائر النعم».

ثمّ قال عليه السلام: «قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: إنّ اللّه عزّ وجلّ أمر جبرئيل ليلة المعراج فعرض عليّ قصور الجنان، فرأيتها من الذهب والفضّة، بلاطها المسك والعنبر، غير أنّي رأيت لبعضها شُرفاً عالية ولم أر لبعضها، فقلت: يا حبيبي، يا جبرئيل، ما بال هذه بلا شُرف كما لسائر تلك القصور؟ فقال: يا محمّد، هذه قصور المصلّين فرائضهم، الذين يكسلون عن الصلاة عليك وعلى آلك بعدها، فإن بعث مادّة لبناء الشُرف من الصلاة على محمّد وآله الطيّبين بنيت له الشُرف وإلّا بقيت هكذا».

وعن أمير المؤمنين عن النبيّ صلى اللّه عليه وآله قال: قال: «لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة، فرأيت فيها قيعان ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وربّما أمسكوا، فقلت لهم: ما بالكم قد أمسكتم؟ فقالوا: حتّى تجيئنا النفقة، فقلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن: سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلّا اللّه واللّه أكبر، فإذا قال بنينا، وإذا أمسك أمسكنا». إلى غير ذلك من الأخبار.



# مجرى التفكر في الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته

## مجاري التفكر في المخلوقات

لا ريب في أنّ طبقات العوالم المنتظمة المرتبة على النحو الأصلح والنهج الأحسن بأمر موجدها الحكيم ومدبرها العليم، مبتدأة في الصدور من الأشرف فالأشرف، حتى ينتهي إلى أسفل العوالم وأخسها، وهو عالم الأرض بما فيه، وكل عالم أسفل لا قدر له بالنسبة إلى ما فوقه، فلا قدر للأرض بالنظر إلى عالم الجو، ولا للجو بالقياس إلى عالم السماوات، ولا للسماوات بالنسبة على عالم المثال، ولا للمثال بالنظر إلى عالم الملكوت، ولا للملكوت بالقياس إلى الجبروت، ولا للجميع بالنسبة إلى ما لا سبيل لنا إلى دركه تفصيلاً وإجمالاً من عوالم الألوهية كما ظهر لعلماء الطبيعة وأهل الرصد والهندسة، ووضح لأرباب المكاشفة والعرفان وأصحاب المشاهدة والعيان.

ثم أخس العوالم الذي عرفت حاله ــ أعني الأرض ـ لا قدر لما على ظهرها من الحيوان والنبات والجماد، بالنظر إلى نفسها، ولذا يفسد من أدنى تغير لها جل ما عليها، ولكل جنس مما عليها أنواع وأقسام وأصناف غير متناهية.

وأضعف أنواع الحيوان البعوضة والنحل وأشرف أنواعه الإنسان، فنحن نشير إلى نبذة يسيرة من الحكم والعجائب المودعة فيها ،وكيفية التفكر فيها، ليقاس عليها البواقي إجمالاً.

فإن بيان مجاري التفكر بأسرها في حيّز المحال، وما يمكن منه خارج عن حيطة الضبط والتدوين، ولذا ترى أن البارعين من الحكماء والفائقين من أجلة العرفاء بذلوا وسعهم في بيان مجاري التفكر في مطارحه وشرح مجال النظر ومسارحه فسطروا فيه الأساطير وملأوا منه الطوامير، وخاضوا في غمرات بحار الأفكار وغاصوا في تيار لجج الأنظار، ومع ذلك لم يعودوا بالنظر إلى ما هو الواقع إلاّ صفر اليدين ورجعوا آخر الأمر (بخفيّ حنين).

### أما (البعوض)

انظر كيف خلقه الله على صِغر قدره على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات، إذ خلق له خرطوماً كخرطومه، وخلق له مع صغره جميع الأعضاء التي خلقها للفيل بزيادة جناحين، فقسّم أعضاءه الظاهرة، فأنبت جناحيه وأخرج يديه ورجليه، وشقّ سمعه وبصره، ودبر في باطنه أعضاء الغذاء، وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في الحيوانات العظيمة ـ كما يأتي في الإنسان ـ ثم هداه إلى غذائه الذي هو دم الإنسان وغيره من الحيوانات، فأنبت له آلة الطيران إلى الإنسان، وخلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس، وهداه إلى الامتصاص من مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه في واحد من مسامه، ويغرز فيه ويمص الدم يتجرعه.

وخلق خرطومه ـ مع دقته ـ مجوفاً حتى يجري فيه الدم الصافي الرقي وينتهي إلى باطنه وينتشر في معدته وفي سائر أعضائه، وعرّفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب، وخلق له السمع الذي يسمع به حفيف حركة اليد مع كونها بعيدة منه، فيترك المص ويهرب، وإذا سكنت اليد عاد، وخلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صِغر حجم وجهه.

ولما كانت حدقة كل حيوان صغيرة بحيث لا يحتم الأجفان لصغره، وكانت الأجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغُبار، خلق للبعوض والذباب وغيرهما من الحيوانات الصغيرة يدين ليمسح بهما حدقتيه ويطهرهما عن الغبار والقذى، أولا ترى الذباب أنه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه.

وأما الإنسان وغيره من الحيوانات العظيمة خلق لحدقتيه الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة، فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها إلى أطراف الأهداب، فهذه لمعة يسيرة من عجائب صنع الله فيه، وفيها من العجائب الظاهرة والباطنة ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها.

أما (النحل) فأوحى الله تعالى إليها: (( وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ))(1).

واستخرج من لعابها الشمع والعسل، وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء وانظر في عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنهار واجتنابها عن النجاسات والأقذار، وفي طاعتها وانقيادها لواحد من جملتهم،

وأكبرهم شخصاً، وهو أميرهم.

وانظر كيف علم الله أميرهم أن يحكم بالعدل والانصاف بينهم، حتى أنه ليقتل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسته.

ثم انظر إلى بناء بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال المسدس، فلا يبني مستديراً ولا مربعاً ولا مخمساً، بل اختار المسدس لخاصية يقصر عن دركها أفهام المهندسين، وهو أن أوسع الأشكال وأجودها المستدير، ثم ما يقرب منه، فإن المربع تخرج منه زوايا ضايعة، وشكل النحل مستدير مستطيل، فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة، ولو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة، لأن الأشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الوسعة والاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس، فهذه خاصية هذا الشكل.

فانظر كيف علم الله النحل مع صغر جرمها لطفاً بها وعناية بوجودها ليهنأ عيشها، فسبحانه ما أعظم شأنه، وما ذكرناه قدر يسير من عجائب الحكمة المودعة فيها، وما فيها من العجائب الظاهرة والباطنة مما لا يمكن الاحاطة به.

وأمام (الإنسان) فنقول: لا ريب في أن أول كل إنسان قطرة من ماء، لو خليت بنفسها لأنتنها الهواء وأفسدها، وكانت متفرقة في جميع أجزاء بدن الذكر، فألقى الله بلطائف حكمته محبة بينه وبين الأنثى وقادهما الشهوة إلى الاجتماع، واستخرج هذه النطفة المنتنة حتى جذبتها رحم الأنثى، واستقرت في الرحم.

ثم ابتدأ خلق الجنين في استقرار قطرة الماء في الرحم، وشبه بالعجين إذا ألصق بالتنور، فغيره الله تعالى سبحانه عن حاله قليلاً كالبذر إذا نبت من الأرض، فصارت نطفة، فاستجلب دم الحيض من أعماق العروق إليها، حتى ظهرت فيها نقط دموية منه وصارت علقة.

ثم أظهر فيها حمرة ظاهرة حتى صار شبيهاً بالدم الجامد، وهيج فيها ريحاً حارة فصارت مضغة، ثم أظهر فيها رسوم الأعضاء وشكلها وصورها، فأحسن تصويرها، فقسم أجزاءها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة من العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم والشحم.

ثم ركب الأعضاء الظاهرة والباطنة من اللحم والعروق والأعصاب، فدوّر الرأس، وشق البصر والسمع والفم والأنف وقسّم الأصابع بالأنامل، وخلق كل واحد من القلب والدماغ والكَبد والطحال والمعدة والرئة والرحم والمثانة والأمعاء وغيرها من الأعضاء على شكل مخصوص، وجعل لكل واحد منها عملاً معيناً وفعلاً مخصوصاً، وجمع ذلك يحصل للجنين.

وهو في ظلمة الأحشاء محبوس، منضم في صرة، كفاه على خديه، ومرفقاه على حقويه، جمعت ركبتاه على صدره وذقنه على رأس ركبتيه، وهو كشبه نائم، سرته متصلة بسرة أمه يمتص منها الغذاء، ووجهه إلى وجهها إن كان أنثى وإلى ظهرها إن كان ذكراً.

فتتوارد عليه تلك النقوش العجيبة والتصويرات الغريبة من غير خبر منها له وللرحم، ولا للأب والأم، ولا يرى داخل النطفة أو الرحم ولا خارجهما نقاش يصل إليه أثر نقشه، فكأن الجنين بلسان حاله ينادي قلوب العارفين بنغمات تهيجها وترقصها: تصوروني في ظلمة الأحشاء، كيف يظهر التخطيط والتصوير على وجهي، فينقش النقاش أجفاني وحدقتي، ويصور المصور خدي وشفتي، ولا يزال يظهر عليّ نقش بعد نقش وصورة بعد صورة، ولا أرى نقاشاً ولا مصوراً، أو لا تتعجبون من هذا النقاش الذي لا يحتاج إلى تماس ومزاولة ولا يفتقر إلى آلة ومباشرة، أو لا تنتقلون من عجيب صنعه إلى عظيم قدرته وجسيم عظمته، أو ليس لكم أعين بها تبصرون أو قلوب بها تفقهون، فكيف تنظرون إلى تكون أعضائي وعجائبها ولا تعتبرون؟!

انظر في نبذ من العجائب والحكم المودعة في بعض من هذه الأعضاء، فتأمل في (العظام) التي هي أجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة، وأحكمها وصلّبها في الرحم بين المياه، مع أن صلابة المائع في الماء محال عادة، وجعلها قواماً ودعامة للبدن، ولذا صلّبها وأحكمها لئلا تتكسر عند الحركات العنيفة، وقدرها مقادير مختلفة وشكّلها على أشكال متفاوتة، ففيها صغير وكبير وقصير ومستقيم ومستدير ودقيق وعريض ومجوّف ومصمت، على ما اقتضته الحكمة والمصلحة، ولما كان الإنسان محتاجاً إلى الحركة، تارة بجملة بدنه، وتارة ببعض أعضائه، لم يخلقه من عظم واحد، بل جعل له عظاماً كثيرة بينها مفاصل، حتى تتيسر له الحركة بجملة بدنه وبعض أعضائه، وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها، وما لم تكن فيه فائدة سوى كونه عماداً للبدن خلقه مصمتاً، وإن جعل فيه المسام والخلل التي لابد منها، وما يحتاج إليه للحركة أيضاً، زاد في تجويفه ليكون أخف، وجعل تجويفه في الوسط واحداً لئلا يحتاج في وصول الغذاء إليه إلى التجاويف والخلل المتفرقة، فيصير رخواً، بل صلّبه مع تجويفه، لئلا ينكسر عند الحركات العنيفة، وما كانت الحاجة فيه إلى الوثاقة أشد جعل تجويفه أقل، وما كان الاحتياج فيه إلى الخفة أكثر جعل تجويفه أزيد، وجمع غذاءه وهو المخ في حشوه ليغذوه ويرطبه دائماً، لئلا يتفتت بتجفيف الحركة.

ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض بأوتار أنبتها من أحد العظمين وألصقها بالآخر، كالرباط، وخلق في أحدهما زوائد خارجة منه وفي الآخر حفراً غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد، ليدخل فيها وتنطبق عليها، ولذلك لو أراد الإنسان أن يحرك جزءاً من بدنه دون سائر أعضائه لم يتعسر عليه، ولو لا المفاصل لتعذر عليه ذلك.

ثم وسط بين العظام الصلبة واللحوم الرخوة (الغضاريف) وهي من العظم ألين ومن اللحم أصلب، ليحسن اتصال الصلب باللين، فلا يتأذى منه، خصوصاً عند الضربة والضغطة، وليحسن به مجاورة المفاصل المتحاكة فلا تتراض لصلابتها.(٢)

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٢) جامع السعادات: ج١، ص١٢٣ ـ ١٢٧.



# الإمامة في السنة

عند مطالعة الكتب الخاصة بالأحاديث الإسلامية، وعلى الأخص كتب المصادر لأبناء السنة، يواجه المرء حشداً كبيراً من الأحاديث النبوية التي تثبت إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بوضوح لا مزيد عليه.

وإن المرء ليأخذه العجب من أنه مع كثرة هذه الأحاديث التي لا تدع مجالاً للشك في المسألة، كيف حاول بعضهم أن يختار طريقاً غير طريق أهل البيت عليهم السلام!

إن هذه الأحاديث التي تؤكد بعضها مئات الأسانيد (مثل حديث الغدير) ويؤكد بعضها الآخر عشرات الأسانيد، وهي واردة في عشرات الكتب الإسلامية المشهورة، من الوضوح بحيث أننا لو تغاضينا عن أقاويل هذا وذاك، وأهملنا التقاليد، تكون القضية على درجة من الجلاء لا نحتاج معها إلى أي دليل آخر.

إننا نذكر فيما يلي نماذج لعدد من الأحاديث المعروفة من بين الوافر الكثير منها، طالبين من الذين يريدون الاطلاع أكثر على هذا الموضوع أن يرجعوا إلى المصادر التي سنذكرها لهم.

## حديث الغدير

يقول الكثير من المؤرخين إن رسول الله صلى الله عليه وآله أدى فريضة الحج في آخر سنة من سنوات عمره الشريف، وبعد الانتهاء من الحج، رجع ومعه جماعات غفيرة، من أصحابه القدامى والجدد والمسلمين المولعين به الذين كانوا قد اجتمعوا من مختلف نقاط الحجاز ليلحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أداء فريضة الحج، وعند وصولهم إلى مكان بين مكة والمدينة اسمه (الجحفة)، تقدمهم نحو (غدير خم) حيث كانت الطريق تتفرق، فيتفرق عندها الناس كل إلى وجهته.

ولكن قبل أن يتفرق الناس من هناك إلى أنحاء الحجاز، أمر الرسول الناس بالتوقف ودعاء الذين سبقوه إلى الرجوع، وانتظر حتى لحق به الذين كانوا في الخلف، كان الجو حاراً جداً ومحرقاً، ولم يكن في تلك الصحراء المترامية ما يستظل به، أدى المسلمون صلاة الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعندما أراد الناس الانصراف إلى خيامهم فراراً من حرارة الجو، أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عليهم أن يستمعوا إلى بلاغ مهم جديد من جانب الله في إحدى خطبه المسهبة.

أقيم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منبر من أحداج الإبل، فارتقاه، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، وقال من جملة ما قال:

«.... أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبيّن لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، أنا مسؤول وأنتم مسؤولون، ترى كيف تشهدون لي؟».

فرفع الناس أصواتهم قائلين:

نشـهد أنك قد بلغـت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أتشهدون بأن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسـول الله، وأن الله سـيبعث من في القبور يوم القيامة؟».

فقالوا جميعاً: نعم نشهد بذلك.

فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «اللهم اشـهد! ثم سـألهم: أيهـا الناس، أتسمعون صوتي؟».

قالوا: نعم.

وسـاد الجمـع صمـت لم يسـمع خلاله شيء سـوى صوت هبوب الريح وأخيراً قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أنبئونـي مـا تعملـون بعـدي بهذيـن الثقلـين العظيمـين اللذيـن سـأتركهما بين ظهرانيكم؟».

فقام رجل من بين الجمع وقال:

أي ثقلين تعني يا رسول الله؟

فقـال رسـول الله صلـى الله عليـه وآله وسلم:

«الثقل الأول هو الثقل الأكبر، كتاب الله، القـرآن، ما إن أخذتم بـه لن تضلوا، والثقل الثانـي هو عترتـي، آل بيتي، ولقد أخبرني اللطيف الخبير بأنهما لن يفترقا حتى يردا علـيّ الحوض، إن سـبقتموهما هلكتم، وإن تخلفتم عنهما هلكتم.

ثم نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أطرافـه كأنه يبحث عن شـخص، فلما وقـع بصـره على علـي عليه السـلام انحنى وأمسـك بيـده ورفعهـا حتـى بـان بيـاض أبطيهما، فرآه الناس وعرفوه.

وارتفع صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول:

«أيهـا الناس، مـن أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟».

فقالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إن الله مـولاي، وأنـا مـولى كل مؤمن، أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه».

وكـرر هـذا القـول ثـلاث مـرات، وقال بعـض الـرواة أنه كـرره أربع مـرات ثم رفع رأسه الشريف إلى السماء وقال:

«اللهـم والِ مـن والاه، وعادِ مـن عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار.

ثم قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «ألا هل بلّغت؟».

قالوا: نعم.

قال:

«فليبلّغ الشاهد الغائب».

وقبـل أن يتفـرق الجمـع نـزل جبرائيل الأمـين بالآية التالية على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

((...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ...)).[1]

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أكبر، الله أكبر، على إكمال الدين، وإتمـام النعمـة، ورضـى الـرب برسـالتي والولاية لعليّ من بعدي».

فحصل هـرج ومرج بين النـاس وراحوا يتزاحمون لتهنئة عليّ عليه السلام بالولاية، وكان منهم أبو بكر وعمر، اللذان تقدما إلى علي عليه السـلام يقولان: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!

هـذا الحديـث أورده عـدد كبـير مـن علمـاء الإسـلام في كتبهـم، بعـض بصـورة مسـهبة وبعـض باختصار شـديد، وبشـيء مـن الاختـلاف في بعـض الألفـاظ، ويعتبر مـن الأحاديث المتواترة الـتي لا يمكن لأحد أن يشـك في صـدوره عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، إلى درجة أن العلاّمة (الأميني) في كتابه (الغدير) يذكر اسم مئة وعشـرة من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم ممن ذكـروا هذا الحديث، وثلاثمائة وسـتين عالماً وكتابـاً ورد فيه هذا الحديث أيضاً، ومنها كتب أهل الجماعة في التفسير والتأريخ والحديث.

بـل إن جمعاً كبـيراً من علماء الإسـلام ألّفـوا الكتـب الخاصة بهـذا الحديث، منها كتـاب العلاّمـة الأميـني (الغديـر) المتعمق النـادر المثـال، فإنـه يشـير فيـه إلى سـتة وعشرين عالماً من علماء الإسلام ممن ألفوا الكتب الخاصة بحديث الغدير.

ولقد سـعى بعض ممن لم يستطيعوا بثّ الشـكوك حول صحة أسانيد هذا الحديث، إلى إلقـاء الشـكوك في دلالتـه على الإمامة والخلافـة، واعتبـار كلمـة (مـولى) تعـني (الصديـق) مـع أن التدقيـق في مضمـون الحديـث والظروف الزمانيـة والمكانية التي أحاطـت بالحديث وقرائـن أخرى تدل بحق على أن القصد لم يكن سوى الإمامة والولاية التي تعني القيادة بكل ما فيها من معان:

ألـف: إن آيـة التبليـغ الـتي سـبق أن ذكرناهـا، والـتي نزلت قبل حادثـة الغدير، تـدل بلهجتهـا الحادة وما فيهـا من القرائن علـى أن الـكلام لم يكـن بشـأن الصداقـة العادية، إذ أن هذا لم يكن مما يستوجب كل تلك الأهمية والتوكيد.

كما أن الآية الخاصة بإكمال الدين التي نزلـت بعد آية التبليغ تدل دلالة قاطعة على أن الموضـوع كان علـى درجـة عظيمـة مـن الأهميـة، كموضـوع القيـادة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بـاء: الطريقة التي وصفت بها الحديث، بـكل ظروفه والصحراء المحرقة التي ألقيت فيها تلك الخطبة المسهبة، وأخذ الإقرار من النـاس في ذلك الجو وذلك المكان، كلها تدل على صحة ما نذهب إليه.

جيـم: التهاني والتبريـكات التي قدمت لعلي عليه السلام من جانب مختلف طبقات الحاضرين، والقصائد الشرعية التي قيلت بالمناسـبة في ذلك اليوم بعـده، تدل على أن الحدث واقعي وأنه يخص تنصيب علي عليه السـلام في مقام الولاية والإمامة، ولا شـيء غير ذلك.[2]

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سلسلة أصول الدين للشيرازي: ص٥٥ ـ ٦١.



# العلامة آية اللّه السيد عبد اللّه شبّر البغدادي

العلاّمة الفقيه الراشد الإمام السيد عبد اللّه شبّر البغدادي الكاظمي العلوي الشرف.

هو عبد اللّه بن محمد رضا بن محمّد ابن شبّر الحسيني الفاطمي العلوي البغدادي الكاظمي، عرّف بيته بشبّر انتساباً إلى جدّه المذكور وبيته من البيوت الشريفة في بغداد في العلم والورع والنبالة.

وكان المترجم من أجلة علمائنا المتأخرين وأسوة المجتهدين وعماد الملة والدين ووجه الفقهاء المحدثين، فقيهاً، أصوليّاً متكلماً، مفسراً، أديباً، جامعاً للفنون وكان دقيق النظر، وسيع الفكر، مستقيم الذهن والسليقة، عظيم المقام، جليل القدر، ثقةً، ضابطاً، وجيهاً، متورعاً، فاضل الملكات، كريم الأخلاق، ممدوح السيرة، محمود الصفات والشيم.

أصلهم من الحلة السيفية، ثمّ هاجر بعض أجداده إلى النجف الأطهر، ثمّ انتقل والد المترجم إلى مشهد الكاظمين عليهما السلام وتوطن فيها.

قرأ المترجم على جمع من الأساتذة الجهابذة الأعلام، منهم: الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والعلاّمة الطباطبائي الحائري صاحب (الرياض) والمحقق الفقيه الشيخ أسد اللّه التستري الكاظمي وعلى والده العلاّمة السيّد محمّد رضا شبّر والظاهر أنّه أدرك من الأستاذ الأكبر المجدد البهبهاني يسيراً من الزمان أيضاً.

ويروي المترجم عن هؤلاء الأعلام أيضاً سوى البهبهاني منهم ويروي عن الشيخ أحمد الاحسائي الحائري والمحقق ميرزا أبي القاسم صاحب (القوانين) والعلاّمة ميرزا مهدي الشهرستاني الحائري أيضاً باختلاف فيهم، إجازةً وقراءةً وسماعاً ويروي عن المترجم الفقيه الجليل العلاّمة الشيخ موسى آل كاشف الغطاء وصهر المترجم على أخته والعلاّمة السيّد جواد العاملي صاحب كتاب (مفتاح الكرامة) والعلاّمة السيد محمّد تقي القزويني الذي يروي عنه العلاّمة الإمام السيّد مهدي القزويني الحلي النجفي وغيرهم ممّن تأخره.

والمترجم إنّما هو من عيون الأعلام المحققين في علمائنا المتأخّرين في المجد والفضل والجلالة والنبالة وقوة الملكة القدسية والسعادة في العيش وكثرة التأليف والتصنيف في فنون متنوعة متشتتة، فقد برز من قلمه الشريف مئة مجلد صغيراً وكبيراً، على حسب الفهرست الآتي ذكره، يناهز المجموع من ثمانيّة عشر كرور (٩ مليونات) ومئتي ألف بيت، فلو فرض عمره ثمانين سنة وأوزعنا ما برز من قلمه على أيام عمره - باستثناء أيام صباوته يعني من أول سنه ستة عشر، الذي هو أول البلوغ وأول قابلية التصنيف في النوابغ والأشخاص غير العاديين - لوقع لكلّ يوم من أيام عمره أربعمئة بيت تقريباً.

مع ما كان عليه هذا الرجل الجليل وهيكل العلم والعرفان والتقوى وصاحب الروح القوي الملكوتي الإلهي من المشاغل الشاغلة، من كثرة الذكر والعبادة ومراجعات المسلمين والسعي في حوائجهم والنظر في أمورهم وغيرها من شؤون الرياسة وأطوار المرجعية، سوى ضروريات الحياة من شؤون البشرية من الأكل والشرب والنوم وغيرها ولعمري أنّ هذا لفضيلة عظيمة عجيبة وسعادة جليلة لا يمكن ولا يستقيم إلاّ بتوفيق خاص من اللّه عزّ وجلّ وعناية مخصوصة وهو أهل لذلك وحقيق بهذا التشريف هنيئاً له، وللغافل المسكين ما يتضرع.

وحكى أنه رحمه اللّه رأى ليلة فيما يراه النائم، جدّه أبا عبد اللّه الحسين سيد الشهداء سلام اللّه عليه فقال له: أكثر لا جفّ اللّه قلمك، حتّى تموت.

وحكى أيضاً أنّه رأى ليلةً خمسة النجباء مجتمعاً سلام الله عليهم أجمعين فكأنّهم على طعام والمترجم واقف عندهم، فقال: كأنّي أجد من نفسي جوعاً شديداً ولكن أستحيي من إظهاره لهم، فإذا ألتفت إليّ الصديقة

الطاهرة عليها السلام وقالت: ولدي هذا جوعان، فأعطت له شيئاً من الطعام الحاضر، ممّا بقي من أسآرهم، فتناوله المترجم، فلمّا انتبه من نومته لم يزل مشتغلاً بالتأليف والتصنيف، إلى أن قبضه الله تعالى إليه.

وله مؤلفات كثيرة رشيقة ومصنّفات أنيقة، منها:

(١) كتاب (مصابيح الظلام) في شرح (مفاتيح شرايع الاسلام)، في إثني عشر مجلداً يقرب من مئتين وثلاثين ألف بيت.

(٢) شرح آخر على (المفاتيح) يقرب من نصف الأول.

(٣) (جامع الأحكام) في عشرين مجلداً، جمع فيه الأخبار المتعلقة بالأحكام والأخبار المتعلقة بأصول الفقه يقرب من أربعمئة وخمسين ألف بيت.

(٤) (تلخيص جامع الأحكام) حذف فيه الأسانيد يقرب من أربعين ألف بيت.

(٥) (مختصر التخليص) لخّص فيه التلخيص المذكور فيما يبلغ ثلاثين ألف بيت.

(٦) (ترجمة جلاء العيون) للعلامة المجلسي من الفارسي إلى العربي يقرب من اثنين وعشرين ألف بيت.

(٧) (منتخب الجلاء) مختصر كتابه المذكور يقرب من أحد عشر ألف بيت.

(٨) (مثير الأحزان) في مراثي سادات الزمان، يقرب من سبعة آلاف بيت.

(٩) (تحفة الزائر) يقرب من اثني عشر ألف بيت.

(١٠) كتاب (أنيس الذاكرين) يقرب من أربعة آلاف بيت في الأوراد والأذكار المأثورة من أهل البيت عليهم السلام.

(١١) (روضة العابدين) في عدة مجلدات في أعمال الأيام والأسبوع والسنة، يقرب من أربعة عشر ألف بيت.

(١٢) (نخبة الزائر) أو (تحية الزائر) يقرب من ثمانية آلاف بيت في ما ورد من الزيارات المأثورة.

(١٣) رسالة (ذريعة النجاة) في مستحبات الصلاة في سبعة آلاف بيت.

(١٤) كتاب (المزار في الزيارات)، يقرب من سبعة آلاف بيت.

(١٥) (تسلية الحزين عند فقد الأحبة والبنين)، يقرب من أربعة آلاف بيت.

(١٦) (نهج السالكين) في الأخلاق، يقرب من عشرين ألف بيت.

(١٧) رسالة (زاد الزائرين) في آداب الزيارة وسننها وآدابها وأعمالها يقرب من خمسة آلاف بيت.

(١٨) شرح خطبة الزهراء عليها السلام سمّاه (كشف المحجة).

(١٩) رسالة في شرح دعاء السمات المعروف سمّاها (كشف الحجاب للدعاء المستجاب).

(٢٠) رسالة (صفاء القلوب) في الأخلاق.

(٢١) (زاد العارفين) في الأخلاق أيضاً.

(٢٢) (الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة المعروفة)، يقرب من أربعة آلاف بيت.

(٢٣) (نوادر الآثار وعجائب الأخبار، يقرب من اثني عشر ألف بيت.

(٢٤) وله (أنوار الساعة) في العلوم الأربعة: المعارف الإلهية والأخلاق وعجائب الخلق والفقه، يقرب من سبعة عشر ألف بيت.

(٢٥) وله رسالة (تحفة المقلدين) في الفتاوى الفقهية.

(٢٦) ورسالة في الفقه الاستدلالي سمّاها (زبدة الدليل).

(٢٧) وفي كتاب (منية المحصلين في حقيّة طريقة المجتهدين)، يقرب من ستة عشر ألف بيت.

هذا ما عثرنا من مؤلفات المترجم قدس سره وكثير من المؤلفات الإسلامية والتاريخية.

ولا يخفى في المقام أنّ ما ذكره صاحب كتاب (روضات الجنات) في جملة مؤلفات المترجم من كتاب جلاء العيون في أحوال النبي والأئمة عليهم السلام) غير ترجمة كتاب جلاء العيون للعلاّمة المجلسي قدس سره كما ذكرناه، فأظنه اشتباهاً منه رحمه الله وذكر أيضاً للمترجم في مؤلفاته تراجم بعض مؤلفات المجلسي من الفارسية إلى العربية في الأدعية وما ضاهاها مثل كتاب (زاد المعاد) وغيره فالظاهر أنّ مراده منها هو ما ذكرناه في الفهرس المتقدم من كتب الأدعية والأذكار من أعمال اليوم والليلة والأسبوع والسنة ونحوها حسبما سمعت فيه، والله العالم بحقايق الأحوال في كل حال.

ولم أقف إلى اليوم على تاريخ ميلاد المترجم ووفاته على وجه التحقيق غير أنّه ذكر صاحب كتاب (روضات الجنات) أنّه رأى إجازة بخط المترجم رحمه الله لتلميذه الفاضل السيّد محمد تقي المؤرخة بتاريخ شهر رمضان المبارك من سنة ١٢٤٠ أربعين ومئتين وألف، فيعلم بذلك أنّه كان في الحياة في ذاك التاريخ.[1]

---

(١) مرآة الشرق للشيخ محمد أمين الخوئي: ج٢، ص٩٩٦ - ١٠٠١.



# معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خمسمائة نخلة

في خرائج الراوندي عليه الرحمة جاء:
لما وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة مهاجراً نزل بقبا وقال:
«لا أدخل المدينة حتى يلحق بي علي عليه الصلاة والسلام».
وكان سلمان الفارسي رضوان الله عليه كثيراً يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد اشتراه بعض اليهود، وكان يخدم نخلاً لصاحبه، فلما وافى صلى الله عليه وآله وسلم وكان سلمان قد عرف بعض أحواله من أصحاب عيسى وغيره.
فحمل طبقاً من تمر، وجاءهم به فقال: إنا سمعنا أنكم غُرباً وافيتم إلى هذا الموضع، فحملنا إليكم من صدقاتنا، فكلوه.
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«سموا وكلوا».
ولم يأكل هو منه شيئاً، وسلمان واقف ينظر، فأخذ الطبق وانصرف، وهو يقول: (هذه واحدة).
ثم جعل في الطبق تمراً آخر وحمله، فوضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: رأيتك لم تأكل من حمل الصدقة فهذه هدية.
فمد صلى الله عليه وآله وسلم يده وأكل، وقال لأصحابه:
«كلوا بسم الله».
فأخذ سلمان الطبق، وهو يقول: (هذه اثنتان).
ثم دار خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: إني عبد ليهودي ما تأمرني؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:
«اذهب فكاتبه على شيء تدفعه إليه».
فصار سلمان إلى اليهودي، فقال: إني أسلمت واتبعت هذا النبي على دينه، فلا تنتفع بي، فكاتبني على شيء أدفعه إليك وأملك نفسي، وقال اليهودي: أكاتبك على أن تغرس لي خمسمائة نخلة، وتخدمها حتى تحمل، ثم تسلمها إليّ، وعلى أربعين أوقية ذهباً جيداً.
فانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك، قال صلى الله عليه وآله وسلم:
«فاذهب وكاتبه على ذلك».
فمضى سلمان وكاتبه، وقدّر اليهودي: إن هذا لا يكون إلا بعد سنين، فانصرف سلمان بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
«آتني بخمسمائة نواة».
وفي رواية أخرى، خمسمائة فسيلة.
فجاء سلمان بخمسمائة نواة فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم:
«سلمها إلى علي عليه الصلاة والسلام».
ثم قال لسلمان:
«اذهب بنا إلى الأرض التي طلب النخل فيها».
فذهبوا إليها، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يثقب الأرض باصبعه، ثم يقول ضع في الثقب، ثم يرد التراب عليها، ويفتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصابعه فيتفجر الماء من بينها، فيسقى ذلك الموضع، ثم يصير على موضع ثان فيفعل كذلك، فإذا فرغ من الثانية تكون الأولى قد ثبتت، ثم يصير إلى موضع الثالث، فإذا فرغ منها تكون الأخرى قد حملت، ثم يصير إلى موضع الرابعة تكون قد ثبتت الثالثة وحملت الثانية، هكذا حتى فرغ من غرس الخمسمائة نخلة، وقد حملت كلها، فنطق اليهودي وقال: صدقت قريش أن محمداً ساحر، وقد قبضت منك النخل فأين الذهب؟
فتناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجراً كان بين يديه فصار ذهباً أجود ما يكون، فقال اليهودي: ما رأيت قط ذهباً مثله، وقدره تقدير عشر أواق، فوضعه في الكفة، فرجح فزاد عشراً فرجح حتى صار أربعين أوقية لا تزيد ولا تنقص.
قال سلمان: فانصرفت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولزمت خدمته، فأنا حر.[1]

(١) الفضائل والمعاجز للسيد محمد جعفر المروج: ص١١٢ ـ ١١٥.

الحلقة الحادية عشرة

# على مائدة الصحيفة السجادية

الدعاء الأول

(... حَتّى إذا بَلَغَ أقْصَى أثَرِهِ، وَاسْتَوْعَبَ حِسابَ عُمُرِهِ،......).

أقصى الشيء: غايته وما ينتهى عنه، الأثر: الأجل وأصله من آثار الأقدام في الأرض، واستوعبه: استقصاه وأخذه بأجمعه والمعنى أن الإنسان يأتي أجله عندما يستوفي رزقه وأفعاله وما ترتبت عليها من الآثار والعواقب ويقضى ما كتب له من أيام في الدنيا.[١]

وقيل: أثره: الأثر: هنا بمعنى الأجل، أي: غاية الأمل المضروب.[٢]

وقيل (حتى إذا بلغ) الإنسان (أقصى أثره) أي آخر الأثر المقرر له، كأن لكل إنسان خطىً من العمل تنتهي، وهذه الخطى أثر الإنسان في الحياة، (واستوعب) الاستيعاب: الاشتمال (حساب عمره) بأن أتى على جميع ما قدر له من العمر.[٣]

وقيل: (حتى إذا بلغ أقصى أثره)؛ أي: نهاية عمره، وقيل: الأثر بمعنى الأجل.

(واستوعب حساب عمره) أي: ما دعاه إليه، ويفسّره قوله عليه السلام:

«مِنْ مَوْفور ثوابه أو محذور عقابه، ليجزيَ الذين أساؤوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى».[٤]

وقيل: (حتى إذا بلغ أقصى أثره) وهو الأمد المحدود، فهو من باب إقامة الظاهر مقام المضمر، للدلالة على أنه لا يمكن أن يبلغ تلك الغاية وقد بقي لقدمه في الدنيا موضع أثر، لأن الإنسان ما دام حياً يلزمه الأثر الذي وضع قدمه فيه، ومنه قولهم قطع الله أثرك أي أماتك، لأن الحي لا يكون مقطوع الأثر.[٥]

وقيل: (بلغ) أي وصل من قولهم: بلغت المنزل، أي: وصلته.

وأقصى الشيء: منتهاه وغايته القصوى.

والأثر: الأجل، ومنه الحديث:

«من سرّه أن يبسط الله رزقه وينسأ في أثره، فليصل رحمه)، أي في أجله، وسمي به لأنه يتبع العمر.

قال زهير: لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر.

وقال ابن الأثير: أصله من أثر مشيه في الأرض، فإنّ من مات لا يبقى له اثر فلا يرى لأقدامه في الأرض أثر.

واستوعبه، إستقصاه واستأصله، أي: أخذه جميعه.

وحسبه يحسبه، من باب قتل، حسباً وحسبة وحسابا ـ بكسر ـ فيهما، وحسبانا ـ بالضم: أحصاه عددا.

وحتى: حرف إبتداء يبتدأ به الجمل أي: يستأنف فهو داخل على الجملة بأسرها لا عمل له.

وإذا: ظرف للمستقبل متضمّن معنى الشرط في موضع نصب بشرطه وهو قوله بلغ: أو بجوابه وهو قوله قبضه في أوّل الفقرة الآتية، هذا على رأي الجمهور.

زعم أبو الحسن الأخفش، وتبعه ابن مالك، إن حتى هي الجارة و(إذا) في موضع جربها، وهي على هذا لا جواب لها: المعنى: ثمّ ضرب له في الحياة أجلاً موقوتاً ونصب له أمدا محدودا إلى بلوغ أقصى أثره، واستيعاب حساب عمره فيكون قوله قبضه إلى ماغديه إليه فيما يأتي استيناف وجواب سؤال كأنه قيل: فما جرى إذ ذاك؟ فقيل: قبضه إلى ما ندبه إليه.

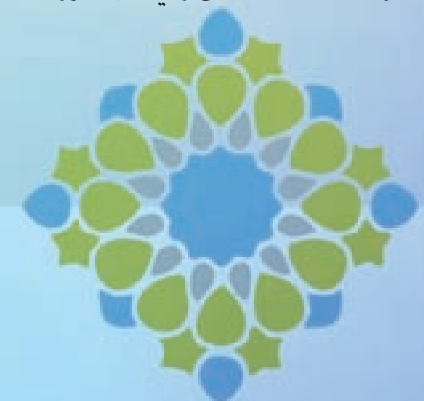
وممن قال بهذا الوجه الزمخشري، فإنه جوزه مع الوجه المذكور عن الجمهور.[٦]

وقال الشاعر المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي:

وتقاضى مستوعباً ما تبقّى
من حسابٍ للعمر باستيفاء[٧]

---

(١) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص٩ ـ ١٠.
(٢) شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد باقر المشتهر: ص٨٢.
(٣) صرح الصحيفة السجادية للسيد محمد الشيرازي: ص١٧.
(٤) رياض العارفين في شرح صحيفة سيد الساجدين لمحمد بن محمد دارابي: ص٢٦.
(٥) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٣١.
(٦) رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية للسيد علي المدني: ج١، ص٢٩١ ـ ٢٩٢.
(٧) الصحيفة السجادية بنظم المرحوم عبد المنعم الفرطوسي: ص٢١.





# الإنفاق على الوالدين

أجمع الفقهاء على وجوب النفقة على الوالدين وإن علوا إذا كانا فقيرين والنفقة والواجبة تشمل المأكل والملبس والمسكن بما يتعارف عليه في كلّ مجتمع، ويستحب التوسعة في النفقة على الوالدين من باب إكرامهما وتقديرهما، لتشمل إكرامهما بالأموال النقدية والعينيّة في المناسبات المتعدّدة كعيدي الفطر والأضحى، وأيام الجمعات، وعند العودة من السفر، وعند كلّ زيارة لهما بعد انقطاع.

ويستحب - لمن استطاع - أن يرسلهما إلى زيارة المراقد المشرفة للأئمة عليهم السلام في العراق وإيران، وإلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابنته الزهراء عليها السلام وقبور البقيع.

ووجوب النفقة مشروط بفقر الوالدين، فإن كانا موسرين لم تجب النفقة، نعم هي مستحبة بل لا ينبغي تركها لما فيها من إكرام وترحم وشكر لهما.

والوجوب هذا مشروط أيضاً بكون الأبناء قادرين على الإنفاق، أمّا إذا كانوا عاجزين عن النفقة الواجبة فيسقط الوجوب، نعم لا يوجد فرق بين وجوب النفقة على الآباء والأبناء والزوجة، فلا يتوهم أحد أن الابن إذا كان قادراً على نفقة زوجته وعياله فقط فلا يجب النفقة على والديه إذ بعد نفقته على زوجته يصبح فقيراً، بل يجب النفقة عليهم جميعاً بالنسبة، فيقدم النفقة الأهم كالطعام والشراب والمرض وما شابه.

وتقدّم أنّ من أخلاق أهل البيت عليهم السلام أن يكون الإنفاق على الوالدين قربة إلى الله تعالى، وبأسلوب محترم بحيث لا يشعر الوالدين، بالمنقصة والذلّة، خاصّة النفقة على الأب الذي اعتاد أن يكون هو المنفق على الأولاد.

والأفضل أن تكون يد الابن المعطي من الأسفل ويد الوالدين من الأعلى ليكونا هما اللذان يأخذان.

## أثر النفقة على الوالدين

يحكى أنّ رجلاً صالحاً من بني إسرائيل كان له صبي وعجلة فلمّا حضرته الوفاة قال: اللّهمّ إنّي استودعكَ هذه العجلة لهذا الصبي، فلمّا كبر الولد اجتهد في العبادة ليلاً وبالعمل نهاراً فيتصدّق بثلث ما ينتجه ويأكل بثلث ويعطي أمّه ثلثاً، وفي يوم قالت أمّه له: اذهب وبع العجلة في السوق بثلاثة دنانير ولا تنجز المعاملة إلاّ بإذني، فذهب فوجد مشترياً، فقال له: خذ ثمنها ستّ دنانير ولا تستأذن أمّك، فرفض، فقدر الله على بني إسرائيل ذبح بقرة بالمواصفات المذكورة في القرآن الكريم فلم توجد إلاّ عند ذلك الصبي فباعها بملء جلدها ذهبا مكافأة على برّ أمّه والإنفاق عليها.

ورويت القصّة بتفاوت أن الابن اشترى متاعاً - بسعر جيّد - لدكّان أبيه فجاء ليأخذ الثمن من الدكّان فوجد أباه نائماً والمفتاح تحت رأسه فلم يرد إزعاجه فترك الشراء، برّاً بوالده، فقدّر الله أن جعل البقرة التي يمتلكها والده هي بقرة بني إسرائيل.

## أنت ومالك لأبيك

وليعلم الأولاد أنّهم وما يملكون لوالديهما كما في الحديث الشريف فلا ينبغي البخل على الآباء وحرمانهما من الأموال - النقديّة والعينيّة - وفي قصّة جرت مع أمير المؤمنين عليه السلام تشير إلى حقيقة ذلك حيث جاءه رجل يخاصم أباه فقال:

يا أيّها الحاكم هذا والدي حقّاً
أتاني وهو محتاج فما كنت له عقّاً

بذلت المال في رفق وما كنتُ به نزقاً
فلمّا خفّ من مالي وقد أوليته رفقاً
تـولّى معرضاً عنّي ولمّا يعطني حقّاً

فقـال أمير المؤمنـين عليه السـلام: ما يقول ابنك هذا، قال الأب:
قـال ابني ما تـرى فصدقه!
ربّيتـه في صغـر أفنقـه
طـوراً أفديـه وطـوراً أوتّقه
حتّى إذا شـبّ وسوى مفرقه
أقرضـني مالاً فكنـتُ أنفقه
ولم أكـن بمالـه لأسـبقه
لـولا الصبى منه ولولا رهقه
أقض القضا والله ربّي يرزقه

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:
قد سمع القاضي ومن الله الفهم
المـال للشـيخ جـزاء بالنعـم
وقـد تسـلّفت بتفضيـل القـدم
مَن قال قولاً غير ذا فقد ظلم
وجـار في الحكم وبئس ما حكم.

## رحمة الوالدين

الرحمـة مطلوبـة من كلّ أحـد على كلّ واحـد، فمـن لم يَرحـم لا يُرحـم كمـا في الحديـث، ومـن لا يرحـم مـن في الأرض لا يرحمه من في السماء كما في حديثٍ آخر.

وذلـك لخصائـص تختلـف مـن طائفة لأخـرى، أمّـا الوالـدان فالرحمـة بهمـا لمكانتهمـا وشـرفهما وعظيـم قدرهما عند الله، ولمـا قدّمـا وضحيّـا من أجـل الأبناء، وقـد نهـى أهل البيـت عليهم السـلام ترك الرحمـة لهم حتـى بالنظر: «لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاّ برحمة ورقّة».

وفي حديث: «من العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما».

وفي آخر: «من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة».

وفي ثالـث: «ما من رجل بـار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلاّ كتب الله تلك النظرة حجة متقبلة مبرورة».

ولا يجوز للأبناء القسوة على الوالدين لا في الكلام ولا في الأفعال، فالكلام القاسـي والشـديد محرّم توجيهـه إلى أحد الأبوين، وكـذا وضـع الأب في عمـل صعـب لا طاقة لـه عليه ــ أو الأم في بعض الأحيـان ـ وكذا وضعهما في منزل غير مهيّأ للسكن أو غير مجهّـز، كما لو كان يدخل المطر في الشـتاء أو الشـمس والحـرارة في الصيـف، أو كان في مكانٍ بعيد عن الناس أو لوازم المعيشـة؛ ففي هذه الحالات يجب على الأبناء السعي لرفـع المشـقّة عنهما ــ بقدر الاسـتطاعة ـ ووضعهما في مكانٍ مناسب يليق بحال الآباء الذين كانوا كالشـمعة تحرق نفسها لتضيء للأبناء.

ويـزداد الأمـر إذا تقـدّم أحدهمـا في السـن، فـإنّ الرحمـة تكون آكـد كما أخبر سبحانه وتعالى:

((..إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ))[1].

فعندما يصبح الوالدان في سنّ الخمسين مثـلاً فـإنّ معيشـتهما تختلف مـن الناحية النفسـيّة والمادّيـة والاجتماعية، فصبرهما يقـل عن التحمّل، وصدرهمـا يصبح ضيّقاً عن كثير من الأمور، وحبّهما للراحة يزداد، وهمّتهمـا عـن تحمّـل المسـؤولية تقـلّ، لذا يحتاجـا إلى مزيـد مـن العنايـة والتلطّف، ورعاية شـديدة سـواءً في الـكلام معهما أو مجالسـتهما أو حتّـى في كيفيـة طعامهمـا وشرابهما ومسكنهما.

ولا ينبغـي أن ينتظـر الأبناء حتّى يطلب الآباء الحاجة بل الأفضل المبادرة لقضائها، ففـي الحديـث: «الإحسـان أن تحسـن صحبتهما وأن لا تكلّفهما أن يسـألاك شيئا مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين».

من القسـوة على الوالديـن عدم اهتمام الأبنـاء بهمـا بأنفسـهما وتوكيل ما يسـمّى بالخـدم للرعاية لهما وتنفيذ ما يحتاجانه، إذ الخـدم بخدمتهـم للوالديـن لا يراعـون حقوقهما التي يجب على الأبناء مراعاتها، ولن ينبع الحبّ والحنان والرحمة من الخدم كما ينبع من الأبناء.

فينبغـي علـى الأبنـاء خدمـة الآبـاء بأنفسهم وتنفيذ غالب متطلّباتهم إن أمكن، لمـا فيـه من ثـواب عظيم وقـدوة للآخرين، كما تُعامِل تُعامَل، قال إمامنا الصادق عليه السلام: «برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم».

وأشدّ من القسوة المذكورة ما اشتهر باسم (دار العجزة) حيث يعتمد بعض الأبناء إلى إكرام الآباء في آخر عمرهم ـ عندما احتاج الأب والأم إلى الأبناء ـ ليضعوهم في سجن اختياري بالنسـبة للأبناء وجبري بالنسـبة للآبـاء، سـجن يـؤدّي بالرحـم إلى الزوال، ويقطـع بـرّ الوالدين ورحمتهما وشـكرهما وحبّهمـا واحترامهما، سـجن يلغي المفهوم القرآني للوالدين، ويبطل الإحسـان إليهما، لاغياً معه كل الآثار الإيجابية لذلك.

وأي إحسـان لـلأمّ والأب إذا ابتعدا عن أبنائهم وأحفادهم وذرّيتهم.

هذه البدعة والثقافة المعادية للإسـلام بل للإنسانيّة يجب أن تخرج من مجتمعاتنا وأسرنا، بل من ثقافتنا، يجب أن يحل مكانها خدمة الوالدين وتقديرهما ورفع منزلتهما، بـل ونبني تمثـالاً لـكلّ أب وأم حفاظاً على المفهـوم القرآنـي للوالدين، وعلـى التعاليم الإسلامية لذلك.

«اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف.....».

## أثر رحمة الوالدين

يحكـى أنّ أمّـا طلبـت من ابنهـا ماء في الشـتاء فجاءها به فوجدهـا نائمة فانتظر يقظتها فلمّا استيقظت أعطاها الماء، وكان قد سال بعض الماء على اصبعه فجمد عليه من شـدّة البرد فانسـلخ الجلد فسال الدم فقالت: أللّهـمّ إنّي راضية عنه فارض عنه، وكانـت في مدّة حملها بـه لا تمدّ يدها إلى طعام فيه شـبهة، ويروى أنّه بعد موته رؤي وهو يطير في الجنان ويسبّح الرحمن فسئل بِمَ نلتَ ذلك؟

فقـال: بـبرّ الوالديـن والصـبر علـى الشدائد.

هـكـذا ينبغـي أن تكـون الرحمـة بالوالدين[2]

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ و ٢٤.

(٢) فقه الأسرة وآدابها للسيد علي عاشور: ص٢٢ ـ ٢٦.




# ما أرضى المؤمن ربه مثل الحلم

كتب المحدّث الشيخ عباس القمي رحمه الله عن مكانة العالم الكبير الشيخ نصير الدين الطوسي، ما يلي: (ومما اتفق له أن شخصاً أرسل إليه ورقة يشتمه ومن جملة ما فيها: (يا كلب بن كلب) فكان جوابه رحمه الله هادئا جداً، ومن الجواب: وأما قوله يا كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار، وأما أنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص).

وهكذا ردّ على سائر فقرات ما ورد في ورقته بغاية المتانة وألقاه في غيابة الجب المهانة.

يضيف الشيخ عباس القمي معلّقاً: لا عجب في هذا الخُلق الشريف للمحقق الجليل لأن آية الله العلامة الحلي رحمه الله يقول فيه: وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية الشرعية على مذهب الإمامية وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق نوّر الله ضريحه، يقول الفقير وهنا محل التمثّل بهذا البيت:

كلّ عِطْرٍ شممْتُه مِن المِسْك والقُرُنفُلِ
فهو مِن أريجِ تلك الغُرّة التي هي كالسنبُلِ

ولقد تحلى المحقق الطوسي بحسن الخلق هذا بالإلتزام بتوجيهات أمير المؤمنين عليه السلام التي سمع: (رجلاً يشتم قنبراً وأراد قنبر أن يرد عليه فناداه أمير المؤمنين عليه السلام مهلاً يا قنبر دع شاتمك مهاناً، ترضي الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه).

وقد مدح المخالف والمؤالف المحقق الطوسي، قال جرجي زيدان في آداب اللغة العربية في ترجمته: (أنشأ مكتبة وشحنها بالكتب التي زادت على الأربعمائة ألف كتاب وأقام المنجمين والفلاسفة ووقف عليها الأوقاف فزهي العلم في بلاد المغول على يد هذا الفارسي كأنه قبس منير في ظلمة مدلهمّة).

ويضيف الشيخ عباس القمّي: وقد وردت ترجمته في كتاب (الفوائد الرضوية) الذي هو في تراجم علماء الإمامية بما يتسب مع ذلك الكتاب وذكرت أنه رحمه الله من (وشاره) التي هي من توابع (جهرود) على عشرة فراسخ من قم إلاّ أنه ولد في طوس في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٥٩٧هـ وتوفي في أواخر يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٦٧٢هـ ودفن في البقعة الكاظمية المنورة سلام الله على ساكنيها.

---

(١) قصص وخواطر للشيخ البحراني/ ص٢٣٢ ـ ٢٣٣، برقم ١٧٦.



# نهر الأمازون Amazon River

النهـر هو مجرى مائي طبيعي واسـع ذو ضفتـين يجرى فيه المـاء العـذب الناتج عن هطـول الأمطـار أو المياه النابعـة من عيون الأرض أو من مسـطحات مائية كالبحيرات امـا نهـر الأمـازون الـذي يقـع في أمريـكا الجنوبية (المحيط الأطلسي – البرازيل) هو أكـبر نهر في العالم من حيث الحجم والعمق ويملك أكبر حوض تصريف في العالم، حيث يغطـي نحو ٤٠ في المئة من مسـاحة أمريكا الجنوبيـة ويزداد اتسـاع أجزاء من الأمازون عن ١٩٠ كيلومتراً أثناء موسم الأمطار. ونظرا لاتسـاعه يطلق عليـه أحيانا البحر النهر. لا يقاطع الأمازون أية جسـور والسبب في ذلك أن الجـزء الأكبر من ميـاه النهر تتدفق عبر الغابات الاستوائية المطيرة، والتي بطبيعتها الطرق بها قليلة وكذلك المدن.

## المنابع

يوجد بأعالي الأمازون سلسلة من الأنهار الرئيسية في بيرو والاكوادور ومن أمثلة هذه الأنهـار هـي مورونـا، باسـتازا، نوكـوراى، يوريتوياكو، شـامبيرا، تايجـر، ناناي، نابو، هوالاغا، أوكايالي.

## المصب

إن تحديد مـكان مصـب نهـر الأمازون وكذلك اتساعه ما زال موضع خلاف، نظرا للجغرافية الفريدة لهذه المنطقة. هناك قياس يحسـب المسـافة من مصب نهـر أراجواري إلى بونتـا نو نافيو على السـاحل الشـمالي لماراجو، ويكون اتسـاع مصب الأمازون ١٨٠ كيلومترا.

## ظاهرة المد المضجر

يتسـبب التوتر بين قوة دفع النهر وأمواج المحيـط الأطلسـي في ظاهـرة تسـمى المد المضجـر، وهى عبارة عـن موجة مدية قوية تتدفـق سـريعا من البحـر لمصـب الأمازون والأنهـار السـاحلية القريبـة عـدة مرات في السنة عند ارتفاع المد. تحدث هذه الظاهرة في مصبات الأنهـار الأخرى في جميع أنحاء العـالم، ولكـن الأمـازون مـن أعلى وأسـرع الأنهـار الـتي تحدث بها هـذه الظاهرة في العـالم، تعـرف هـذه الظاهـرة في منطقـة الأمـازون باسـم بـورووركا يحدث هـذا المد خاصـة عندما لا يتعدى العمق ٧ أمتار .تبدأ بصـوت هدير عال جدا، يتزايد باسـتمرار، وتتزايد بمعدل ١٥ ـ ٢٥ كيلومتراً في الساعة وتكسـر حاجـزاً مائياً يبلـغ ارتفاعه ١,٥ ـ ٤ متر وقد تقطع عدة كيلومترات من الأمازون والأنهار الأخرى القريبة من مصبه

## الحياة البرية

أكثـر من ثلث أنواع الحيوانات البرية في العـالم تعيـش في غابات الأمـازون المطيرة، وهى غابة اسـتوائية عملاقة تبلغ مساحتها هي وحوض النهر أكثر من ٥,٤ مليون كيلومتر مربع وهى من أغنى الغابات الاسـتوائية في العالم. يحـوى نهر الأمازون أكثر من ٣،٠٠٠ نوع معروف من الأسماك وما زال هذا العدد في تزايد. ويصـل العدد في بعض التقديرات إلى ٥،٠٠٠ نوع.

كمـا يوجـد أعـداد كبـيرة مـن أسماك البيرانا، والأسماك آكلة اللحوم التي تتجمع في أسـراب كبـيرة، وربمـا تهاجـم المواشـي وحتى البشـر.

ثعبـان اناكوندا، يعيش في المياه الضحلة في حـوض الأمـازون. وهـو مـن أكـبر أنواع الثعابـين في العـالم، يقضي معظـم وقته في المياه مع إبقاء خياشيمه فوق سطح الماء.

## طول النهر

في حـين أن النقـاش حـول مـا إذا كان الامـازون أم النيـل هـو أطـول أنهـار العالم قـد اسـتمر لسـنوات عديـدة، إلا أن البيان التاريخـي للسـلطات الجغرافيـة نـص على أن الأمـازون ثانـي أطـول نهـر في العـالم بعـد نهـر النيل. ومع ذلك، قـاس العديد من الجغرافيين طول الأمـازون فوجدوه يتراوح مـا بين ٦,٢٥٩ و ٦،٨٠٠ كيلومتر كما أفادت التقاريـر أن طول النيل يـتراوح بين ٥،٤٩٩ إلى ٦،٦٩٠ كيلومـتر. والاختلافـات في هذه القياسـات غالبـا مـا تنجم عن اسـتخدام تعاريـف مختلفة. كما ادعت دراسـة أجراها علماء برازيليـون أن نهر الأمازون أطول من نهر النيل بالفعل.

صدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة الكتاب الموسوم بـ(فضائل أهل البيت بين تحريف المدوّنين وتناقض مناهج المحدّثين).

يتناول هذا الكتاب دراسة لإثبات وقوع التحريف والتناقض والتزوير في مصادر الحديث وقواعده عند العامة وأثر ذلك في فضائل أهل البيت عليهم السلام، كما لم يخل الكتاب من شرح لكثير من القواعد الرجالية وتراجم كثير من الرواة والرد على كثير من شبهات المخالفين كابن تيمية وغيره من المتعصبين ومسائل أخرى جديرة بالمطالعة.

